بسم الله الرحمن الرحيم

مطل أصوات اللين

في

القراءات القرآنية

دكتور

خلف السيد رضوان

مدرس أصول اللغة بالكلية

١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد الله ، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ، محمد وأله وصحبه ومن والاه ...

أما بعد :

فدراسة الأصوات اللغوية حظيت من السلف باهتمام شديد ، ونالتها عناية كبرى من علماء العربية والقراءات والتجويد ، ولا عجب فأمة العرب والهنود من أسبق الأمم إلى تفتيق أكمام البحث الصوتى وإطلاقه من أكمّته .

وللحركات وأصوات اللين أهمية خاصة وتميّز من بين سائر الأصوات ؛ لوضوحها ، واختلاف مقاييسها ، واتساع مداها ، وانتشارها في مستويات الكلام ، وقوّة تأثير الخطأ فى أدائها ، وقابليتها للإشباع والاختزال ؛ مما جعلها فى حاجة حثيثة إلى الضبط والتقعيد ، وبخاصة فيما يتصل بالأداء القرآنى ؛ رعايةً لحرمة القرآن الكريم ، وتنفيذاً لأمره – جلّ وعزّ : { ورَتِّلِ القُرْآنَ تَرْتِيلاً }[1] ، واستجابة لتوجيهه ﷺ : (خيرُكم من تعَلّم القرآنَ وعلّمه)[2] .

لا ريب أن الأداء الصحيح لأصوات القرآن وسيلةٌ إلى فهم معانيه ، وإدراك شيء من أسراره ومراميه ، فالألفاظ والمعانى ساقاً هذه اللغة ، وجلاء المعانى فيها يكون بأداء ألفاظها على وجه دقيق

---

١ – المزمل ٤ .

٢ – البخارى : فضائل القرآن ٩ / ٦٦ ، ٧٠ ، وجامع الأصول ٨ / ٥٠٨ .

صحيح ، يقول ابن الجزرى – رحمه الله – : " ولقد أدركنا من شيوخنا من لم يكن له حُسْن صوت ، ولا معرفة بالألحان إلا أنه كان جيِّدَ الأداء قيِّماً باللفظ ، فكان إذا قرأ أطرب السامع ، وأخذ من القلوب بالمجامع . . "[1] .

ومما يعرض لأصوات اللين فى القراءات القرآنية : تمكين مدِّها وإشباعه ، ذلك ما اصطُلِح عليه بالمطل ، وهذا لعمرى شقّ ضيّق ومبحث دقيق ضاوٍ من مباحث القراءات ؛ لندرة مادته ، واقتصار أغلب شواهده على الشواذ ، كما أن جمهور الكلام فيه نقل لا عقل ، ومن ثم فميدان المبادرة فيه يكاد يقتصر على التقسيم والعرض ، ثم البحث فى الأغراض الدلالية وراء مطل الصوت ، هو – كما قال ابن جنى – رحمه الله –:" موضع ضيِّق ، ومقام زَلْخ ، لا يتقيك بايناس ، ولا ترسو فيه قدم قياس "[2] .

هذا بحث فى : (مطل أصوات اللين فى القراءات القرآنية) اجتهدت فى تحريره ، فنقلت ما كان منه رواية ، وأبديت ما عنّ لى فيه من الدراية ، وضبطت العقل فيه بالنقل ، وفق خطة صارمة ، كانت مادّة الوقت عماد خبانها ، وقد تبيّن لى فى ساقة دراسته أنه متشعب العلاقات بمباحث لغوية عديدة أومأت إليها .

أسأل الله – جل وعلا – أن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يتقبل صوابه وينفع به ويغفر لى ما فيه من خلل أو تقصير ، إنه سبحانه نعم المولى ونعم النصير .

١– النشر ١ / ٢١٢

٢– الخصائص ١ / ١٢٨ .

المبحث الأول

مصطلحات البحث وحدودها

المصطلحات والحدود والأسباب والشروط

من المسلّمات المنقادة فى البحث العلمى أن قيامه على مصطلحات ثابتة وتعريفات واضحة شرطٌ فى الاعتداد به بحثاً ذا قيمة ، كما أن ذلك يهيىء الأنفس لتقبل نتائجه .

نحن نعنى بثبات المصطلح : انفراده فى علمه ، وخصوصيته فيما يدل عليه ؛ لتجنّب الاضطراب الذى يمكن أن ينشأ عن تعدُّد المصطلحات الموضوعة لشىء واحد ، وأما وضوحه فهو : دلالته المباشرة – عند أصحاب الفن – ما يُراد به .

فمن خواصّ المصطلح وأسباب نجاحه أن يكون ذا معنى واضح محدد ، لا يدخل فيه الخيال إلا بقدر ما يحقّق انتقال اللفظ من استعماله اللغوى الأصيل إلى استخدامه الاصطلاحىّ الجديد فى حالة المصطلح المنقول [1] ، فالاصطلاح ليس وسيلة للتلاعب أو انتهاك الحرمة ، وإذا ساغ للأديب أو الخطيب أن يتلاعب بالعبارات ، فإن الأمر يختلف تماماً فى استخدام المصطلح ، إذ هو سيّد الموقف ، يتحكم فى المتحدث ، ولا يتحكم المتحدث فيه [2] ، والمصطلح يقف شامخاً معتزاً بنفسه ، وكأنه هو الذى يستخدم المتكلم أو الكاتب ، فإذا اختلفت دلالته عند مستخدميه أو غمضت فَقَدَ معناه المتعارف عليه ، ولم يعد مصطلحاً .

١- ينظر : العربية لغة العلوم والتقنية ١٢٢

٢- ينظر : مجلة فصول م ٧ ع ٣ ، ٤ سنة ١٩٨٧م ص ٤ .

المطل

تدور دلالة (م ط ل) فى اللغة حول المدّ والإطالة والتطويل ، الذى هو ضدّ الإنجاز والتعجيل ، قال ابن فارس : " الميم والطاء واللام أصل صحيح يدل على مد الشىء وإطالته . ومطلتُ الحديدة أمطلها مطلاً : مددتها . والمطل فى الحاجة والمماطلة فى الحرب منه "[1] .

فالمطل : مدّ ومدى وانبساط ومراوغة وزيادة ، وهو أيضاً – كما قال المناوى – : " التسويف بوعد الوفاء مرّة بعد أخرى . و ... التطويل والمدافعة ، مع القدرة على التعجيل ... "[2] .

فمطل الصوت : إطالة له ، ومدّ فى زمن النطق به ، قال أبو البقاء الكفوى : " سُميت المَدّة مَدّة ؛ لأنها تمتد بحسب تلاصق أجزائها ، وتعاقب أبعاضها ، فالامتداد إنما يصح فى حق الزمان والزمانيات "[3] .

وقد عبر القدماء عن هذا بمصطلحات ، منها : المد والمطل والزيادة والتمكين والإشباع ، ودلالاتها جميعاً متقاربة ؛ لأن المد استطالة فى الشىء من جنسه ، قال ابن فارس : " الميم والدال : أصل واحد ، يدلّ على جرّ شىء فى طول ، واتصال شىء بشىء فى استطالة ، تقول : مددت الشىء ... "[4] .

١- مقاييس اللغة ٥ / ٣٣١ .

٢- التوقيف على مهمات التعاريف – مطل ٦٦٣ .

٣- كليات أبى البقاء ٤ / ٣٠٧ .

٤- مقاييس اللغة ٥ / ٢٦٩ .

ونقل صاحب اللسان فى المد معنى الزيادة فهو : كثرة الماء ، ويقال : وادى كذاَ يَمُدّ فى نهر كذا ، أى : يزيد فيه ... وفى التنزيل العزيز { والْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ } ، أى : يزيد فيه ماءً من خلفه ... " [1].

وفى الأصل : (فلان يمادّ فلاناً يطاوله ويماطله) [2]، وقال الفيومى : " ويقال للسيل (مَدّ) لأنه زيادة ، فكأنه تسمية بالمصدر ... وامتد الشىء : انبسط " [3].

وكذا التمكين ، هو تؤدة ومطل واستقرار ، بضد السرعة والإنجاز ، يقال : فلان يعمل على مكينته ، أى على اتئاده [4].

والإشباع بلوغ فى الغاية ، أشبع الثوبَ وغيرَه : روّاه صبغا ... وكل شىء تُوَفِّره فقد أشبعته ، حتى الكلام يُشْبَع فتوفّر حروفه ... [5] فالمد والمطل والزيادة والتمكين والإشباع مصطلحات متقاربة الدلالة .

يمكن أن ننتهي إلى أن معنى المطل فى الصوت : زيادة زمنية فى كميته ، تصير بها السكونُ حركةً ، والحركة القصيرة طويلة ، وتُمكَّن بها الحركة الطويل أو يُبَالَغ فى مَدّها [6].

١- اللسان – مدد ٣ / ٣٩٧ ، والآية من لقمان ٢٧ .
٢- أساس البلاغة – مدد ٢ / ١٩٩ .
٣- المصباح المنير – مدد ٢٩٢ .
٤- اللسان – مكن ١٣ / ٤١٣ .
٥- اللسان – شبع ٨ / ١٧١ ، ١٧٢ .
٦- استخلصت هذا التعريف بالنظر فى طبيعة المطل ، والتأمل فى أنماط أمثلته التى ستأتى بعد .

وكان ابن الطحان قد جمع المصطلحات المتعلقة بموضوع المد والقصر ، وقدم تعريفاً موجزاً لكل منها [1]، وقد أنطلق فى تعريف المد من اعتقاده ، وتسليمه بأنه الصوت الجارى فى حروف المد ، سواء أكان ذلك الصوت يمثل ذاتها أو ما يعرض لها من الزيادة على تلك الذات ، ويحسن هنا عرْض ما ذكره بشأن المطل ومرادفاته ، لتوضيح ما فى تلك النصوص من جهة ولإفساح المجال لاستنتاجات من تلك النصوص ، ربما ندّت عنى ، أو لم أر داعياً لتدوينها من جهة ثانية

قال ابن الطحان : " والمدّ : عبارة عن أصوات حروف المد واللين ، وهو نوعان : طبيعى وعرضى ، فالطبيعى : هو الذى لا تقوم ذات حرف المد دونه ، والعرضى : هو الذى يعرض زيادة على الطبيعى ، لموجب يوجبه ... والمطّ : هو المد نفسه ، لغة ثانية فيه . والتمكين : عبارة عن الصيغة أيضاً ، وقد يُعبّر به عن المدّ العرضى ، يُقال منه : مَكِّنْ إذا أريدت الزيادة .

والإشباع : عبارة عن إتمام الحكم المطلوب من تضعيف الصيغة لمن له ذلك ، ويستعمل أيضاً عبارة عن أداء الحركات كوامل غير منقوصات ولا مختلسات ... " [2].

١- ينظر : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ٥٢٣ ، ٥٢٤ .
٢- مرشد القارئ – عن الدراسات الصوتية – بإيجاز ٥٢٣ ، ٥٢٤ .

أصوات اللين

تنقسم الأصوات بطبيعتها إلى صوامت وصوائت ، والصوامت لا تعنينا فى هذا البحث إلا من حيث إنها تقابل الصوائت ، وهذه الصوائت هى ما يصطلح عليه أيضاً بالمصوّتات أو الحركات .

وأساس هذا التقسيم يرجع إلى حال هواء الزفير المارّ من الرئتين إلى خارج الفم ، فالحركات أو المصوتات : أصوات مجهورة يمرّ الهواء فى أثناء النطق بها حراً طليقاً خلال الحلق والفم ، لا يقف فى طريقه عائق أو حائل يعترضه ، ولا يضيق مجرى الهواء لها فى نقطة ما بحيث يحدث احتكاكاً مسموعاً [1] .

وهذه المصوتات أو الحركات تُسمى : أصوات اللين ، أو : الأصوات الطليقة ، أو : أصوات العلّة أو : المدّ [2] ، وهى تجمع ما نعرفه فى العربية بالحركات وحروف المد ، وما عدا هذا فأصوات صامتة أو ساكنة [3] .

وذكر ابن الطحان مصطلح اللين ، وعرّفه بأنه : عبارة عما يجرى من الصوت فى حرف المد ممزوجاً بالمد طبيعة وارتباطاً ، لا ينفصل أحدهما فى ذلك عن الآخر ، وهو أجرى فى الياء والواو إذا انفتح ما قبلهما ، كما أن المدّ أجرى فيهما إذا انكسر ما قبل الياء ، وانضمّ ما قبل الواو [4] .

١- ينظر : الأصوات د / بشر ٧٤ ، ومدخل إلى علم اللغة ، د / حجازى ص ٤٣ ، والمنهج الصوتى للبنية العربية ، د / عبد الصبور شاهين ٢٦ .

٢- ينظر : الأصوات اللغوية د / أنيس ٢٦ ، والوجيز فى فقه اللغة ١٦٠ ، ومناهج البحث فى اللغة ١٤٢ ، وفقه اللغة وخصائص العربية - المبارك ١٧٩ .

٣- ينظر : الأصوات اللغوية د / أنيس ٢٨ .

٤- مرشد القارئ عن الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ٥٢٤ .

وفصْلهُ بين اللين والمد بتمييز حركة ما قبله ينم عن ملاحظة دقيقة فإن الثابت حقاً أن الصوائت الطويلة هى ما أطلق عليه القدماء (حروف المد) ، وهى الألف والواو والياء ، إذا سكنت مع مجانسة الحركة السابقة عليها ، مثل : وحِيل - سُور ونُور - قال وباع ، والألف حرف مد دائماً : لأنها لا تقع إلا بعد فتحة ، وهى الحركة المجانسة لها ، وإلاّ غُيِّرت إلى حرف آخر ... [1] .

وأما الصوائت القصيرة فهى الحركات التى اعتبرها القدامى أبعاض حروف المد - الألف والواو والياء ، المشار إليها فيما سبق - فكما أن هذه الحروف ثلاثة . فكذلك الحركات ثلاث ، وهى : الفتحة والضمة والكسرة ، فالفتحة بعض الألف ، والكسرة بعض الياء ، والضمة بعض الواو ... والألف فتحة مُشْبَعة ، والياء كسرة مُشْبَعة ، والواو ضمّة مُشْبَعة ... [2] .

وأصوات اللين من أوضح الأصوات فى السمع ، بل هى أوضحها حقاً قياساً إلى الأصوات الصوامت . وذلك يجعل الانحراف فى نطقها أبين والخطأ فى أدائها أغلظ ، وهى - إلى هذا - تنتشر فى الكلام بنسبة كبيرة [3] ؛ مما يوجب ضبط نطقها والاحتياط لها والتحرز عن الخطأ فيها .

١- أصوات اللغة العربية د / هلال ١٠٩ .

٢- ينظر : سر الصناعة ١ / ١٧ ، ٢٣ ، وقارن : أصوات د / هلال ١١١

٣- ينظر : الأصوات اللغوية د / أنيس ٣٠ ، ٣٧ .

والمطل يدخل الحركات وحروف المد (والسكون أيضاً) ، أو بتعبير آخر : يلحق علامات الضبط وحروف المد ، نعم تُمْطَلَ (السكون) فتصير حركة فيما إذا التقى ساكنان فى نحو قولنا : " منِ الطارق ؟ " تحركت النون فى الوصل لوقوع الساكن بعدها ، فهذا ضرب من المطل ، أشار ابن جنى إليه بقوله : " وإنما كانت حركة هذا ونحوه الكسرة دون أختيها ، من قِبَل أنه ساكن قد احتيج إلى حركته ؛ فجرت حركته إذاً مجرى حركة التقاء الساكنين فى نحو : (قلِ اللهم) و: (قمِ الليل) [1]، وعليه أطلق المجزوم والموقوف فى القوافى المطلقة إلى الكسر ، نحو قوله :

* وأنك مهما تأمُرى القلبَ يفعلِ *

وقوله :

* لما تزُل برحالنا وكأنْ قدِ *

ونحو مما نحن عليه حكاية الكاتب : هذا سيْفُنى ، وهو يريد : سيفٌ من أمره كذا ، أو من حديثه كذا ، فلمّا أراد الوصل أثبت التنوين ، ولما كان ساكناً صحيحاً لم يجر الصوت فيه ، فلمّا لم يجر فيه حرّكه بالكسر – كما يجب فى مثله – ثم أشبع كسرته ؛ فأنشأ عنها ياء ، فقال : سيفنى .

١- آل عمران ٢٦ ، والمزمل ٢ .

هذا حكم الساكن الصحيح عند التذكّر " [1].

وإنما أطلت الكلام فى هذا الضرب من المطل بتحريك الساكن ،ومكّنت القول له بنقل النصّ ؛ ليقر فى الخاطر أنه نمط من المطل حيث إن الحركة أطول من السكون ؛ ولأن بعض أهل العلم لا يقرّونه مطلاً ؛ إذ يقتصر المطل عندهم على التحول من حركة إلى ما هو أطول منها ، وحيث ننظر إلى المطل على أنه مد وتطويل وجب أن يدخل فيه هذا الضرب ، وإن كان قليلاً ؛ ومن أجل هذا قال برجشتراسر فى (زيادة الحركات) : " والنوع الآخر من أنواع تغيرات الحروف الصائتة ، وهو الزيادة ، فنادرٌ أيضاً فى العربية منه : أن أكثر الأسماء التى وزنها (فُعْل) قد تكون على (فُعُل) أيضاً ، نحو : أذن و: أذن ... فنرى من ذلك أن (أذن) بالذال الساكنة هى الأصل ، وأن (أُذُن) المتحركة مقلوبة منها .

ومن الزيادة : زيادة حركة بعد حرفين ساكنين فى آخر الكلمة ... وزيادة حركة بعد حرف ساكن فى آخر الكلمة ، إذا تبعته همزة الوصل ، نحو : (عنِ البيت) و : (زيد الطويل) ، وهاتان القاعدتان مطردتان ، وسائر أنواع زيادة الحركة اتفاقية " [2]

فتراه أدخل تحريك الساكن – وقد سمّاه زيادة – فى مطلق

١- الخصائص ٣ / ١٣٠ ، ١٣١

٢- التطور اللغوى ٦١

المطل ، وهل المطل إلا زيادة ؟

أما بقية أضرب المطل من إطالة الحركة القصيرة ؛ لتصير حرف مد ، أو تمكين حرف اللين والمبالغة فى مدّه . فلا خلاف فيها من هذه الجهة ، وشواهدها وأمثلتها كثيرة ، وسيأتى شىء منها - بحول الله - وقد خصّها ابن جنى - غفر الله له - بمباحث مستقلّة فى خصائصه [1] .

١- ينظر : باب فى مَطْل الحركات - الخصائص ٣ / ١٢١ ، ومطل الحروف ٣ / ١٢٤ ، وبعض ما ورد فى باب مضارعة الحروف للحركات ، والحركات للحروف ٢ / ٣١٥ .

دعـــوى ودرء شبهـــة

يعجب المرء ممن يَغْفُلون عن تقدير جهود السلف من علماء العربية أو يُغْفِلون الإشارة إلى بحوثهم فى ذلك الزمن المبكر مع ضعف وسائل البحث آنذاك ، ويشتد العجب ممن يتعلّقون بالباطل ، ويضعون أنفسهم فوق هامات السابقين ، حيث تضعف العزائم وتصغر النفوس ! [1] .

وكان من ذلك اتهام علماء العربية بأنهم لم يعنوا بأصوات اللين ، ووصف معالجتهم لها بأنها سطحية ، قال الدكتور إبراهيم أنيس - عفا الله عنه - : " أصوات اللين - مع أنها عنصر رئيسى فى اللغات ، ومع أنها أكثر شيوعاً فيها - لم يُعْنَ بها المتقدمون من علماء العربية ، فقد كانت الإشارة إليها دائماً سطحية ، لا على أنها من بنية الكلمات ، بل كعرض يعرض لها ، ولا يُكَوِّن منها إلا شطراً فرعياً ... " [2] .

وهذا اتهام جزافى ، وهو لعمرى مدفوع بوجوه ، منها :

(أ) أن الحركات وأصوات اللين لفتت انتباه الصدر الأول من علماء العربية ، أعنى بعض الصحابة والتابعين ، نعم هذا أبو الأسود الدؤلى (ت ٦٧ هـ تقريباً) يُصَرِّح بألقاب

١- ينظر : أيضاً : مقال المرحوم د / الطناحى - مجلة الهلال - مارس ١٩٩٢ م ص ٤١ .
٢- الأصوات اللغوية د / أنيس ٣٧ .

الحركات ، ويُكنّى عن أصوات اللين بقوله لكاتبه : " إذا رأيتنى قد فتحت فمى بالحرف ، فأنقط نقطة فوقه على أعلاه ، فإن ضممت فمى فأنقط نقطة بين يدى الحرف ، وإن كسرت فاجعل النقطة تحت الحرف ، فإن أتبعت شيئاً من ذلك غُنَّة فاجعل مكان النقطة نقطتين .... " [1].

ففى هذا النص ذكر للفتح والضم والكسر والغنة ، وإن لم يصرح بمصطلح : (الحركة) .

وجاء التصريح بمصطلح (الحركة) فى رواية أخرى للخبر ذاته ، وهى التى أوردها أبو عمرو الدانى فى قوله : " رَوَّينا أن المبتدئ ، بذلك كان أبا الأسود الدؤلى ، وذلك انه أراد أن يعمل كتاباً فى العربية يُقَوِّم الناسُ به ما فسد من كلامهم ؛ إذ كان قد نشأ ذلك فى خواصّ الناس وعوامّهم ، فقال : أرى أن أُبتدئ بإعراب القرآن أولاً ، فأحضر من يمسك المصحف وأحضر صبغاً يخالف لون المداد ، وقال للذى يمسك المصحف عليه : إذا فتحت فاى فاجعل نقطة فوق الحرف وإذا كسرت فاى فاجعل نقطة تحت الحرف ، وإذا ضممت فاى فاجعل نقطة أمام الحرف ، فإن أتبعت شيئاً من هذه الحركات غنة – يعنى تنويناً – فاجعل نقطتين ... " [2]، فصرح فى هذه الرواية بلفظ (الحركات) .

١- أخبار النحويين البصريين للسيرافى ٣٥ ، وتاريخ العلماء النحويين للتنوخى ١٦٧ .
٢- النقط مع المقنع للدانى ١٢٤ ، ١٢٥ .

(ب) وأدرك علماء العربية القدامى بفهم ووضوح أن الحركات أخوات لأصوات اللين والمد : " وليس حرف (كلمة) يخلو منها أو من بعضها ، وبعض حركاتها " [1] وأن " الحركات أبعاض حروف المد واللين وهى : الألف والياء والواو فكما أن هذه الحروف الثلاثة ، فكذلك الحركات ثلاث ، وهى : الفتحة والكسرة والضمة ، فالفتحة بعض الألف ، والكسرة بعض الياء ، والضمة بعض الواو ... " [2].

وليس أدلّ لمعرفتهم بأصوات اللين وعنايتهم بها من تلك المناقشات التى أداروها حولها والتقسيمات التى وضعوها لها ، حتى قال أبو الفتح : " وقد كان متقدمو النحويين يُسمّون الفتحة الألف الصغيرة والكسرة الياء الصغيرة ، والضمة الواو الصّغيرة ، وقد كانوا فى ذلك على طريق مستقيمة ... " [3].

وقد أكد ابن جنى عناية علماء العربية المتقدمين بأصوات اللين غير مرة فى هذا الموضع ومواضع أُخر .

(جـ) ومن آيات انتباههم المُبكّر إلى أهمية أصوات اللين وتنبيههم على ذلك أن تصنيفهم للأصوات ودراستها من لدن سيبويه (ت ١٨٠ هـ تقريباً) لم يختلف – فى كثير – عما انتهى

١- الكتاب ١ / ١٦٥ .
٢- سر الصناعة ١ / ١٧ .
٣- سر الصناعة ١ / ١٧ .

إليه المحدثون فى عصر المعامل الصوتية وأجهزة قياس الصوت ودقّة التشريح ، بل إن الدراسات الصوتية الحديثة قد اتكأت على نتائج هؤلاء القدماء ، " وعلى رأس علماء العربية الذين أرسوا دعائم الدراسات الصوتية وعالجوا هذا الموضوع بدقة أبو الفتح بن جنى ، فقد وصف الأصوات الثلاثة – أى – : الصوائت الطويلة – باتساع المخارج ، بما يؤكد أنها تنطلق مع الهواء دون عائق فى أية منطقة من مناطق النطق ، سواء فى الحلق أو الفم إلى الشفتين ... وقد فرق ابن جنى بين الحروف الثلاثة من حيث كيفية النطق بها ، ومواقعها من الحلق واللسان والشفتين ، وتلك نظرة دقيقة نلمحها عند عرضنا لأصوات اللين المعيارية ، ومقاييس أصوات اللين التى اتفق عليها المحدثون من علماء الأصوات ... "[1] .

(د) وأوغل ابن جنى فى دراسة ما اصطُلح عليه – بعد – بالنبر على حروف اللين [2] ، وصرّح بعدد من أغراضه الدلالية ، كالإنكار والتذكُّر والشكّ والتلوّم ، وسنعطف على شىء من هذا بتفصيل أدقّ فيما يلى بحول الله .

(هـ) وللإمام مكى بن أبى طالب (ت ٤٣٧ هـ) رسالة جليلة ،

---

١ – أصوات اللغة العربية د / هلال ١٠٩ ، ١١٠ ، وقارن : سر الصناعة ١ / ٨

٢ – ينظر : المحتسب ١ / ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، وقارن : الحركات العربية فى ضوء علم اللغة الحديث ٢٠٢ ، ٢٠٤ .

عنوانها : " تمكين المد ... "[1] تحدث فيها عن أصوات اللين ، ودفع بعض الشبه التى أثيرت حول قراءات صحيحة ، بزعم أن إشباع المد فى بعض كلمات القرآن الكريم على هذه القراءات يخرج الكلام من حيز الخبر إلى الاستفهام ... ويتضح من ذلك أن موضوع هذه الرسالة ينحصر فى أصوات اللين ومطلها والدلالات الناتجة عن ذلك .

(و) ولم يقتصر الأمر على ما مضى ، بل كان من شديد عنايتهم بأصوات اللين أن بحثوا فى دقائق تتصل بها لا نظن أنها كانت ستخطر للمتأخرين على بال لو لم ينبه عليها المتقدمون من علماء العربية .

ومن ذلك بحثهم فى أصل حروف المد ، وأيها أمكن فى خاصّة المد من أخويه ، واختلافهم فى ذلك ، فقد رأى بعض علماء التجويد أن الألف أمكن حروف المد ، وانتهى بعضهم إلى أن الواو أمكن ، ثم الياء ، فالألف ، قال ابن الباذش : " ولا خلاف فى تمكين حروف المد واللين ، وإن لم يلقَهُنَّ شىء مما ذكرنا ، تمكيناً وسطاً ، من غير إشباع ولا زيادة ... وأمكنُهُنّ فى المد الألف ثم الياء ثم الواو .

وكان أبو القاسم يحكى لنا عن أبى بكر الصقلى أنه كان يذهب إلى أن أمكنَهُنّ فى المد الواو ثم الياء ، ثم الألف ، وهكذا وضع هذا أبو بكر فى كتابه المعروف بالاقتداء ... "[2] .

---

١ – حققها د / أحمد حسن فرحات ، نشر دار الأرقم بالكويت ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤ م .

٢ – الإقناع ١ / ٤٦٨ ، وينظر : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ٥٢٤ ، ٥٢٥ .

كما درس علماء العربية والتجويد حروف المد واللين والحركات من حيث الأصالة والفرعية ، وأيّها أسبق وجوداً أو أيّها مأخوذ من الآخر [1] دراسة عميقة ...

وبهذا ومثله يتبين أن ما مضى من اتهام علماء العربية الأقدمين بإهمال أصوات اللين أو عدم العناية بها ، أو أن معالجتهم لها كانت سطحية ... دعوى عريضة عطل من البرهان .

١- ينظر : الكتاب ٢ / ٣١٥ ، وسر الصناعة ١ / ١٧ ، والتمهيد فى علم التجويد لابن الجزرى ٧٨ .

مخارج أصوات اللين

لعله تبين مما سلف أن هناك تجوّزاً فى إطلاق مصطلح اللين على المد والعكس بغض النظر عن ضبط الحرف السابق عليها فى نسق الكلام .

ويُرَجَّحُ – بناء على هذا – أنها سميت مداً ؛ لامتداد الصوت بها فى يُسر عند النطق ، وربما سُميت هوائية ؛ لأنها تنتهى بانقطاع هواء الفم ، وجوفية لأن الجوف آخر انقطاع مخرجها [1] كما تسمى لينة وهاوية أيضاً .

وهذه الأصوات – عند سيبويه – مجهورة غير مهموسة ، ومخارجها متسعة [2] ، وذكر ابن جنى أن الحروف التى اتسعت مخارجها ثلاثة : الألف ثم الياء ثم الواو وأوسعها وألينها الألف .. [3] ونسب الأزهرى إلى الخليل بن أحمد أنه قال : الواو والياء والألف (اللينة) ثلاثة فى الهواء ، لم يكن لها حيز تُنسب إليه غيره [4] .

ويذكر ابن سينا أن الألف الصغرى والكبرى مخرجهما من إطلاق الهواء سلساً غير مزاحم ، والواوان مخرجهما مع أدنى مزاحمة وتضييق للشفتين ، واعتماد فى الإخراج على ما يلى فوق اعتماداً يسيراً ، والياءان تكون المزاحمة فيهما بالاعتماد على ما يلى أسفل

١- ينظر : الكتاب ٢ / ١٨٥ ، وط : هارون ٤ / ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، والنشر ١ / ١٩٩
٢- ينظر : الكتاب ٢ / ١٨٥ .
٣- سر الصناعة ١ / ٨ .
٤- التهذيب ١ / ٥١ ، وعنه نقل ابن منظور – مع اختلاف يسير – اللسان ١ / ١٣ – باب ألقاب الحروف وطابعها وخواصها .

قليلاً ، وكُلّ صُغرى فهى واقعة فى أصغر الأزمنة ، وكلّ كُبرى ففى أضعافها "[1] هذا عند القدماء .

أما خلاصة رأى المحْدَثين فى مخارج أصوات اللين ، فهو أنها تنتج بقدر كبير من حرية تسرب الهواء من الرئتين مروراً بالتجويف الحنجرىّ ، ولعل ذلك يسبب ارتباطها بالوترين الصوتيين ، وهو ما يعنى بوضوح أنها تمتاز بحرية مرور الهواء حال النطق بها ، دون أدنى اعتراض ، حيث يخرج معها الهواء مُصوِّتاً على شكل مستمرّ من الحلق والفم دون أن يعوقه شىء من الأعضاء الصوتية ؛ وهى لذلك متسعة المخارج لهواء الصوت ، وليس شىء من الحروف أوسع مخارج منها ، ولا أمدّ للصوت ، وهى تتميز بالوضوح السمعىّ ، وتُسمى الأصوات (الرنينية) ؛ إذ (تُسمع من مسافة عندها قد تخفى الأصوات الساكنة أو يُخطأ فى تمييزها)[2] ، وقد أدّى وضوحها إلى وصفها – كذلك – بأنها أصوات موسيقّية .

١- أسباب حدوث الحروف ٢٠ ، ويقصد بالصغرى : الحركة القصيرة فى نحو ضَرَبَ ، وبالكُبرى : اللين الطويل (المدّ) فى نحو : ضابر ، وكذا فى الضمة والكسرة مناظرتين بالواو والياء .

٢- الأصوات اللغوية د / أنيس ٢٦ ، ٢٧ ، وينظر : دراسة الصوت اللغوى ١١٤ .

حُكم المطل وأصوائه

انتهينا فى تعريف المطل إلى أنه : زيادة زمنية فى كمية الصوت ، يتحرك بها الساكن أو تطول بسببها الحركة القصيرة ، أو تمكن بها الطويلة ويبالغ فى مدها إشباعاً .

وذكرنا أمثلة لتحريك الساكن بالمطل ونقلنا فيه نصوصاً ، وأما مثال إشباع الحركة القصيرة بالمطل فى لغة العرب ، فقول الشاعر :

ممكورة جُمّ العظام عُطْبُولْ ∴ كأنّ فى أنيابها القَرَنْفُولْ

وأصله القَرَنْفُل [1] ، مطل الضمة وأشبعها ؛ فنتج عن ذلك واو . ولا التفات إلى قول من ذهب إلى تخريج ذلك وأشباهه على الضرورة ؛ لورود ذلك المطل أيضاً فى منثور الكلام العربى والحديث والأثر والقراءات القرآنية ، وكل هذا لا ضرورة فيه ، وسنعود إلى شىء من هذا فيما يلى إن شاء الله .

ومثال تمكين اللين الطويل والمبالغة فى مَدّه وإشباع ذلك : أن يتوفر له أحدُ أسباب المطل اللفظية أو المعنوية . فالأولى كالهمز أو الحرف المشدّد بعد المد ، والثانية كالتذكّر أو مدّ التعظيم أو المبالغة فى النفى ... ذلك قول ابن جنى فى باب مَطْل الحروف : " والحروف الممطولة هى الحروف الثلاثة اللينة المُصوَّتة . وهى الألف والياء والواو ... إلا أن الأماكن التى يطول فيها صوتها وتتمكن مدتها ثلاثة ، وهى أن تقع بعدها ... : الهمزة ، أو الحرف المشدد ، أو أن يُوقف عليها عند التذكر "[2] .

وأمثلة ذلك مع الهمزة : سماء . بريئة . مروءة ، ومع التـ ...

١- ينظر : الخصائص ٣ / ١٢٤ ، والمحتسب ١ / ٢٥٩ . والبيت – قرنفل –

٢- الخصائص ٣ / ١٢٤ ، ١٢٥ .

شابّة ، دابّة ، ومع التذكّر : أخواك ضربا – إذا مطلت انتظاراً لتذكر مفعول به أو ظرف أو نحوهما مما تريد أن تتمّ به الكلام – أى ضرباً زيداً ... وهكذا .

ومن هنا نستنتج أنّ مطل حروف اللين يكون قياساً عند توفر سببه كالهمز والتشديد من الأسباب اللفظية والتذكر من الأسباب المعنوية ، كما أنه يكون سماعياً فيما عدا هذا مما لا يضبطه قياساً أو تنصّ عليه قاعدة ، والسماع فى هذا أكثر ، وأمثلته أوفر وأشهر ، كما فى قراءة : { سَأُورِيكُمْ دَارَ الفَاسِقِينَ } [1] وفى الحديث : عن أنس بن مالك ﷺ قال : قدم علىّ ﷺ على النبىّ ﷺ من اليمن ، فقال: " بما أهللت " [2]. مطل فتحة الميم فنتج عن ذلك ألف ، حيث لا ضرورة ، وهذا ونظائره سماع .

ولارتباط أكثر هذا المطلب بالسماع قضى برجشتراسر عليه بالنُدْرة غير مرة ، قال عن تغير الحركات الصائتة فى اللغة العربية : ((ولا يوجد مدٌّ للحركات المقصورة إلا نادراً أيضاً)) [3]، وقال فى موضع آخر عن زيادة الحركات : (والنوع الآخر من أنواع تغيرات الحروف الصائتة وهو الزيادة ، فنادر أيضاً فى العربية ... " [4].

لكنا قد انتهينا إلى أن من المطل ما يكون قياسياً وكثير رمنه مردّه إلى السماع .

---

١ - الأعراف ١٤٥ ، وهى قراءة الحسن . كما فى المحتسب ١ / ٢٥٨ ، ٢٥٩ .
٢ - صحيح البخارى عن : إشباع حركات الأبنية فى الشعر ١٤٢ .
٣ - التطور النحوى ٦٢ .
٤ - التطور النحوى ٦٩ .

والمطل – على هذا – مختص بالسكون والحركات وحروف اللين أو قُلْ : إنه يختص بحروف المد وأبعاضها والسكون دون ماعداها من صوامت حروف العربية ، فلا تتولد عينٌ بمطل ولا زاى ولا باء ، كذلك ، ولهذا يقول مكى : " إن سأل سائل فقال : المد فى أى شىء يكون ولأى شىء يكون " ؟

فالجواب : أن المدّ لا يكون إلا فى حروف المد واللين – وهى : الألف التى قبلها فتحة ، والواو التى قبلها ضمة ، والياء التى قبلها كسرة – وإنما يكون المد فى هذه الأحرف ..... " [1].

فأما ما ورد من خبر ابن غورك من تولّد صامت نتيجة ما يشبه المطل ، فليس – على التحقيق – مطلاً ، وهذا خبره : قال بعض العلماء : " بينما نحن مع ابن غورك فى مجلسه إذ أقبل إليه رجل ، زعم أنه أقبل من المشرق ، فقال له : حركات الإعراب كم هى ؟ فقال ابن غورك : ثلاث الرفع والنصب والخفض ، فقال بقى عليك ، بل هى أربع ، فقال له ، وما الرابعة ؟ قال : الخضخضة ، فقال له ابن غورك : ارفع زيداً ، قال : زيدٌ ، قال : انصب زيداً قال : زيداً ، قال : أخفض زيداً ، قال : زيد ، قال خَضْخِضْ زيداً،قال : ززيد فضحك وضحكنا ثم ضحكنا كثيراً ولم ينهنا عن ذلك" [2].

فتراه عبر عن عيب من عيوب النطق كالفأفأة والتلعثم بمصطلح أدخله فى ألقاب الإعراب استطرافاً . وما هو منها ، وقد

١- تمكين المد ٢١ .
٢- طبقات النحويين واللغويين للزبيدى ٢٣٣ .

نتج عن هذا العيب تولد صامت هو الزاى ، وما ذاك بمطل ، وإنما هو هَزْرٌ واستطرافٌ وكلام بما يُستملح لا يمثل حقيقة علمية ، وقد استهواهم وجَرهم إليه سمر جلسة تخفّفت من ضوابط دقة الحديث وقيود حقائق العلم .

والأمر الذى يحسن التنبه إليه والتأكيد عليه أن هناك فرقاً بين ما ورد من المطل فى القرآن الكريم وقراءاته من جهة ، وما كان منه فى لغة العرب من جهة أخرى ، وذلك من حيث وجوب التزامه فى الأداء ؛ فقد أثار بعض علماء التجويد قضيّة قلّ من تعرّض لها ، وهى : أن مراعاة أحكام المد ليست لازمة فى كل أشكال النطق العربى ، وإنما تلتزم فى قراءة القرآن حسب ، ومن كلام مكى فى ذلك : " والهمزة إذا وقعت بعد حرف المد واللين لك أن تدع إشباع المد فى الكلام ، فتقول صائم وقائم – بغير إشباع – فتثبت الألف والهمزة ولا تشبع ، فأما فى القرآن فلا بد من إشباع المدّ اتباعاً للرواية " [1] .

وقد قصد ابن جنى مستوى الكلام الفصيح الأعلى بما قاله فى ذلك عن تأثير وقوع الهمز أو الحرف المشدد بعد حرف المد ، وأن حروف المد الثلاثة " إذا أوقعت بعدهن الهمزة أو الحرف المدغم ازددن طولاً وامتداداً ، وذلك نحو : يشاء .. ويسوء .. ويفيىء .. وتقول مع الإدغام : شآبّة ودآبة .. أفلا ترى إلى زيادة الامتداد فيهن بوقوع الهمزة والمدغم بعدهُنّ " [2] . فمراده بذلك المستوى الأعلى

١- الكشف ١ / ٦٨ .

٢- سر الصناعة ١ / ١٧ ، ١٨ .

من مستويات الأداء اللغوى ، كتلاوة القرآن . فأما فى المستويات الدنيا والأداء الدارج ، فَلَكَ – كما قال مكى – أن تدع الإشباع مع وجود الهمز بعد المدّ .

وصفوة القول : إن تلاوة القرآن لها قوانين ومقاييس واجبة الالتزام ، وهى تختلف عن أنماط النطق فيما عداه ، حيث يُفترض أن تتهيأ فى تلاوة القرآن مظاهر العناية والإتقان من حيث توفية الحروف حقوقها مشمولة بأحكامها .

أسبابـــــه

أشرنا فى عجالة مما مضى إلى أن مطل أصوات اللين أكثره سماعى ، ومنه ما يكون مقيساً إذا توفر سببه .فهناك أسباب تعرض مع حرف المدّ فتوُجب مطله وإشباعه فى القرآن الكريم ، منها سبب معنوى ، وسببان لفظيان .

أما السببان اللفظيان فيعرضان بعد حرف المد ويوجبان مطله فى القرآن وقراءاته ، وإن عرضا فى مستوى الكلام العادى – من غير القرآن – فيكون المطل معهما أحسن ، وإن كان تركه – كما قال مكى – معهما فى غير القرآن جائزاً .

وثمة أسباب أخرى تعرض فى الكلام الدارج فيكثر معها المطل ، وهى التى ذكرها ابن جنى تحت مصطلحات : الشكّ والتلوّم والإنكار والتذكّر [1]، وهى من النبر الدلالى بسبب :

١ – **الهمز** : قال ابن جنى فى الحروف الممطولة وهى : الألف والياء والواو : " إلا أن الأماكن التى يطول فيها صوتها ، وتتمكن مدتها ثلاثة ، وهى أن تقع بعدها – وهى سواكن توابع لما (هو منهن) وهو الحركات من جنسهن – : الهمزةُ " [2].

وقال فى موضع آخر : " ألا ترى أن الألف والياء والواو اللواتى هن حروفٌ توامّ كوامل ، قد تجدهُنّ فى بعض

١– ينظر : الخصائص ٣ / ١٢٩ ، ١٣٠ ، والمحتسب ٢ / ٢١٠ ، وسر الصناعة ٢ / ٧٢٠ ، وقارن : الحركات العربية فى ضوء علم اللغة الحديث ٢٠٣ ، الخصائص ٣ / ١٢٥ .

الأحوال أطول وأتمّ منهن فى بعض ، وذلك قولك : يخاف وينام ، ويسير ويطير ، ويقوم ويسوم ، فتجد فيهن امتداداً واستطالة ما ، فإذا أوقعت بعدهن الهمزة ... ازددْن طولاً وامتداداً ، وذلك نحو : يشاء ويداء ، ويسوء ويهوء ويجيء ويفيء... " [1].

فالهمزة تؤثر على حرف المد بمطله وإشباعه إذا تلته ، سواء أكان ذلك فى كلمة أو فى كلمتين ، أما الأول فاصطلح عليه علماء التجويد بالمد المتصل ، وأما الثانى فعُرف بالمد المنفصل .

وعلماء التجويد واللغويون فى بيان أثر الهمزة سواء ، فقد ذكر علماء التجويد عن تأثير الهمزة فى المد كلاماً يشبه كلام أبى الفتح فى فحواه ، وإن اختلف عنه فى ألفاظه ، لكن الأمر الذى انفرد به علماء التجويد حقاً هو دقة التقسيم وكثرة التمثيل ، وقصر الأمثلة على ألفاظ القرآن الكريم .

قال الدانى : " اعلم أن الهمزة إذا كانت مع حرف المد واللين فى كلمة واحدة ، سواء توسطت أو تطرفت ، فلا خلاف بينهم فى تمكين حرف المد زيادة ، وذلك نحو قوله عز وجل : أولئك ، و : شاء الله و : الملائكة و : يضئ ، و : هاؤم اقرءوا " [2] فهذا مما اتفق القراء فى وجوب مدّه زيادة على المد الطبيعى ، وسموه المتصل ، يمطل ويمكن ويشبع بمد فرعى ، وإن اختلفوا فى مقدار ما يزيد به .

١– سر الصناعة ١ / ١٧ .

٢– التيسير فى القراءات السبع ٣٤ .

وقال مكى فى باب الألف : " فإذا لاصقته همزة لم يكن بد من تمكين مدّه ، ومدُّه إذا كانت الهمزة بعده آكد ، نحو : جاء وشاء "[1].

وهناك خلاف غير يسير فى مقدار المد المنفصل ، وهو ما كان المد منه فى كلمة والهمز فى أخرى ، نحو : (ماذا أنزل)[2] ، و (قالوا آمنا)[3] وفى إشارة إلى هذا الخلاف قال ابن الجزرى : " وأما المنفصل ، ويقال له أيضاً : مدّ البسيط ؛ لأنه يبسط بين كلمتين ، ويقال : مد الفصل ؛ لأنه يفصل بين الكلمتين ، ويقال له : الاعتبار ؛ لاعتبار الكلمتين كلمة ، ويقال : مدّ حرف لحرف ، أى : مدّ كلمة لكلمة ، ويقال : المد الجائز ، من أجل الخلاف فى مده وقصره ، وقد اختلفت العبارات فى مقدار مده اختلافاً لا يمكن ضبطه ، ولا يصح جمعه ... "[4] ، ولكل حججه ، وعلى الإجمال فقد رأيت أثر الهمز فى مطل حرف المد .

٢ - **التشديد والسكون** : صرّح ابن جنى بأن الحرف المشدد إذا وقع بعد اللين أدىّ إلى تطويل صوته وتمكن مدته ، فقال فى أثناء

---

١ - الرعاية ١٣٤ .
٢ - النحل ٢٤ .
٣ - البقرة ١٤ .
٤ - النشر ١ / ٣١٩ ، وينظر : مذاهبهم فى مقداره : التيسير ٣٤ ، ٣٥ ، وإتحاف فضلاء البشر ٣٨ .

كلامة السابق عن ألو الهمزة : " إلا أن الأماكن التى يطول فيها صوتها ، وتتمكّن مدتها ... وهى أن تقع بعدها : الهمزة ، أو الحرف المشدد ..."[1] ، ومثّل لذلك بقولهم : شابّة ودابّة ، وهذا قضيب بكّر فى قضيب بكْر ، وقد تمودّ الثوب ...وبين سبب ذلك قائلاً : " وأما سبب تمكنهن ووفائهن وتماديهن إذا وقع المشدد بعدهن فلأنهن - كما ترى - سواكن ، وأول المثلين مع التشديد ساكن ، فيحفو عليهم أن يلتقى الساكنان حشواً فى كلامهم ، فحينئذ ما ينهضون بالألف[2] بقوة الاعتماد عليها ، فيجعلون طولها ووفاء الصوت بها عوضا مما كان يجب لالتقاء الساكنين من تحريكها ، إذا لم يجدوا عليه تطرّقاً ، ولا بالاستراحة إليه تعلّقاً ..."[3].

ولم يغب عن علماء التجويد أثر التشديد إذا تلا حرف المد ، ولكن الفرق بينهم وبين علماء اللغة ، أن علماء التجويد فصّلوا أكثر ، فأضافوا سبباً آخر لصيقاً بالتشديد . وهو ما إذا تلا حرف اللين حرفٌ ساكن غير مشدد ، ومعنى هذا أن اللين يُمَطّل بإشباع مدّه إذا تلاه ساكنٌ مشدد أو غير مشدد .

---

١ - الخصائص ٣ / ١٢٥ .
٢ - الاقتصار على الألف هنا لمجرد التمثيل ، وإلا فالحكم يشمل الواو والياء أيضاً ، فتدبر هذا ومعارضة بما ذكر محققه فى الحاشية من أن الألف هى الأصل ، فلذلك محل خلاف أشرنا إليه بالنقل عن الإقناع .
٣ - الخصائص ٣ / ١٢٦ .

قال مكى : " وكذلك يُمدّ إذا كان بعده ساكن ، مشدداً أو غير مشدد ، وزيادة تطويل المدّ ونقصه فيه على حسب ما ذكرناه فى غير هذا الكتاب ، مع اختلاف القراءة عن القراء "[1] .

وأوضح ابن الجزرى وجه الإشباع فى التقاء حرف المدّ بالساكن ، وأنه للتمكّن " من الجمع بينهما ، فكأنه قام مقام حركة ، وقد أجمع الأئمة على مدّ نوعى المتصل وذى الساكن اللازم ، وإن اختلفت آراء أهل الأداء ، أو آراء بعضهم فى قدر ذلك المد "[2] .

وعبارة مكى فيه أجلى ، وهى قريبة من كلام ابن جنى ، قال مكى : " فلما وقع بعد حروف المد واللين ، وحرفى اللين حرف مشدّد وأوله ساكن ، وحروف المد واللين وحرفا اللين سواكن ، لم يمكن أن يوصل إلى اللفظ بالمشدد ، وكانت المدة أولى ؛ لأن الحرف الذى قبل المشدد حرف مد ، فزيد فى مَدّه ؛ لتقوم المدّة مقام الحركة ، فيتوصل بذلك إلى اللفظ بالمشدد ، وهذا إجماع من العرب ومن النحويين ، والعلة فى المدّ للساكن غير المشدد يقع بعد حروف المد واللين كالعلة فى المد للمشدد ... "[3] .

فتعليله وتعليل ابن جنى ينهضان دليلاً على أن المطل وإشباع المدّ يقوم مقام الحركة فى استراحة النفس للتهيؤ للنطق بالساكن أو المشدد ؛ حتى لا ينتقل اللسان من ساكن إلى مثله ، أو من ساكن خفيف إلى مشدد ثقيل دفعة دون تهيّؤ واستعداد ، وقد أجمل المرادى السببين السابقين بقوله : " وسبب المد أحد شيئين " وهما : الهمزة والسكون "[4] .

١- الرعاية ١٣٤ .
٢- النشر ١ / ٣١٤ .
٣- الكشف ١ / ٦٠ ، ٦١ .
٤- المفيد (مخطوط) عن : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ٥٢٦ .

٣ - **المبالغة فى النفى** : أضاف بعض علماء التجويد هذا السبب للمطل أو زيادة المد [1] ، وهو سبب معنوى يختلف عن سابقَيْه ، فقالوا : السبب المقتضى لزيادة المد قسمان : معنوى ولفظى ، فالمعنوى : هو قصد المبالغة فى النفى ، فى مثل : { لا ريب فيه } [2] ، ومنه مدّ التعظيم فى نحو : { لا إله إلا الله } [3] ، واللفظى : هو ما مُدّ من أجل الهمزة والسكون .

وهذا السبب المعنوى – كما قال ابن الجزرى – سبب ضعيف إذا لم يعاضده سبب آخر ، كالهمزة فى { لا إله إلا الله } ، وقد اشتهر بمد المبالغة فى النفى من القُرّاء حمزة ، وسيأتى الكلام عليه قُبيل نهاية البحث ، لكن الظاهر أن كلام علماء التجويد على المطل يدور بصورة أساسية على ما كان سببه همزة أو سكون أو تشديد .

ومن الأسباب الأخرى – وهى أسباب معنوية أيضاً ولا تختصّ بالقرآن أو قراءاته – فى مطل صوت اللين :

٤ - **التذكّر** : نحو قولهم فى الوقف عند التذكّر : قالا ، أى : قال زيد ... فجعلوا الاستطالة بالألف دليلا على أن الكلام ناقص [4] .

١- ينظر : النشر ١ / ٣٤٤ ، والدراسات ٥٢٦ .
٢- البقرة ٢ .
٣- الصافات ٣٥ ، ، ومحمد ١٩ .
٤- سر الصناعة ٢ / ٧٢٠ .

وقال ابن جنى فى موضع آخر : " وإنما مُطِلت ومُدّت هذه الأحرف فى الوقف وعند التذكّر ، من قِبَل أنك لو وقفت عليها غير ممطولة ولا مُمَكّنة المدة ، فقلت : ضربا وضربوا واضربى ، وما كانت هذه حاله وأنت مع ذلك مُتَذَكِّر ، لم تُوجد فى لفظك دليلاً على أنك متذكّر شيئاً ، ولأوهمت كل الإيهام أنك قد أتممت كلامك ، ولم يبق من بعده مطلوب متوقع لك ، لكنك لما وقفت ومطلت الحرف عُلِمَ بذلك أنك متطاول إلى كلام تالٍ للأوّل منوط به .. " [1] .

٥- **الشك** : ذلك قول أبى الفتح : " ثم أشبعت ذلك الحرف ومطلته ، وذلك قولك فى نحو : قد – وأنت تريد : قد قام ونحوه ، إلا أنك تشكّ ، أو تتلوّم لرأى تراه من ترك المبادرة بما بعد ذلك – : قدى ، وفى (من) : منى ، وفى (هل) : هلى ، وفى (نعم) : نعمَى .. " [2] .

٦ - **التلوم** [3] وهو ما ذكره ابن جنى مع الشك ، والتلوم : التمكث ، بأن يعرض للمتكلم الانصراف عن معنى بدأه إلى معنى آخر ، أو يريد أن ينتقل من كلام إلى كلام ؛ فيمطل صوت اللين ؛ لتتهيأ له الفرصة لهذا الانتقال .

ويظهر لنا أن ابن جنى أطلق مصطلح (التلوّم) وأراد به : الإضراب ، الذى نعرفه بأنه : الإعراض عن الشىء بعد المبادرة فيه

---

١ – الخصائص ٣ / ١٢٨ .
٢ – الخصائص ٣ / ١٣٠ .
٣ – ينظر : الحركات العربية فى ضوء علم اللغة الحديث ٢٠٣ .

٧ - **الإنكار** : تحدث عنه ابن جنى فى غير موضع من كتبه ، قال فى باب حرف اللين المجهول : " وذلك مدّة الإنكار ، نحو قولك فى جواب من قال : رأيت بكراً : أبكرِنيه ، وفى : جاءنى محمد : أمحمدُنيه ، وفى : مررت على قاسم : أقاسمنيه ؛ وذلك أنك ألحقت مدة الإنكار ، وهى لا محالة ساكنة .. [1] ، فهذا من مطل اللين للإنكار .

وأورده بصورة أوضح فى قوله : " وعلى طول الأصوات وقصرها لقوة المعانى المعبر بها عنها وضعفها . ما يحكى أن رجلاً ضرب ابناً له ، فقالت له أُمّه : لا تضربه ، ليس هو ابنك ؛ فرافعها إلى القاضى ، فقال : هذا ابنى عندى ، وهذه أمّه تذكر أنه ليس منى ، فقالت المرأة : ليس الأمر على ما ذكره ، وإنما أخذ يضرب ابنه ، فقلت له : لا تضربه ، ليس هو ابناك [2] ، ومَدّت فتحة النون جداً ، فقال الرجل : والله ما كان فيه هذا الطول [3] الطويل ... وإذا كان جميع ما أوردناه ونحوه مما استطلعناه فحذفناه يدل على أن الأصوات تابعة للمعانى ، فمتى قويت قويت ، ومتى ضعفت ضعفت " [4] .

فهذا أيضاً سبب معنوى للمطل . ووجه إشباع الفتحة فى الحكاية حتى صارت ألفاً وأكثر أنها للإنكار . فانصرف النفى عن معناه الحقيقى .

---

١ – الخصائص ٣ / ١٥٤ .
٢ – رسمت الكلمة فى المطبوع (ابنك) بدون مد .
٣ – فى المطبوع : الطويل الطويل .
٤ – المحتسب ٢ / ٢١٠ .

ولعله قد تبين من خلال العرض السابق لأسباب المطل-أن هناك علاقة قوية بين المطل من جهة وصوت الهمزة والحرف المشدد من جهة أخرى ، وهو ما نعد بأن نعطف عليه فى مبحث علاقات ظاهرة المطل .

قيدٌ مهم : انتهينا فيما مضى من معرفة معنى المطل وحكمه ، وأصوات اللين ومخارجها ، وما يدخله المطل من أصوات اللغة ، والأسباب التى تؤدى إليه ... وهنا احتراز وشرط لا يحسن غضّ الطرف عنه البتة ؛ لأن السهو عنه ، أو عدم مراعاته يُوقع فى أخطاء فادحة فى الحكم على بعض الصور بأنها من مطل أصوات اللين ، وما هى منه فى شىء :

إن الحكم على صورة بأنها ممطولة عن أخرى لابد فيه من اتحاد الجذر الاشتقاقى ، أعنى أن تكون الصورتان متفرعتين عن أصل اشتقاقىّ واحد ، أى : ألا يخرج اللفظ عن أصل مادته ، فلا يدخل فى المطل ولا يعدّ منه ما تغيرت فيه المادة ، نحو : حاق ، و : حقّ ، ففى اللغات فى القرآن : " حاق وبال : وجب (أى : حقّ) ، لقريش واليمن " ، ومثل هذا يمكن أن يخدع الناظر فيه ؛ فيقضى بأن حاق مطل عن : حق ، وليست (حاق) هنا مطلاً ؛ لأن أحد الفعلين معتل العين (ح ى ق) والثانى عينه صحيحة من المضعف (ح ق ق) .

المبحث الثانى

مطل أصوات اللين فى كلام العرب

مطل أصوات اللين في كلام العرب

هذا فصل كالتوطئة لما يليه ، فقد بدا لي أنه لا يحسن الهجوم على شواهد المطل المروية في القراءات القرآنية قبل التمهيد بشيء مما ورد في كلام العرب ممطولاً ، وهذا يجعل الحديث عن الظاهرة في القرآن والقراءات سائغاً ، فيهما – لا شك – كلام عربي مبين .

لقد تفرقت ظاهرة مطل أصوات اللين في لهجات القبائل العربية ، حتى إن المتتبع لها ومن أراد أن يعزوها إلى قبيلة بعينها يشق عليه هذا التحسبس ، فقد عزيت شواهد للمطل إلى طيء والأزد وأهل اليمن والحجازيين وبعض بني عقيل وبعض قبائل الحضر وناس من العرب [1] ، ووجدت الظاهرة في منثور الكلام والحديث والأثر وشيء من قراءات القرآن ، وبقيت لها أيضاً آثار ظاهرة في اللهجات العامية المعاصرة . أما ورودها في النثر ، فمن شواهده ما ذكره ابن جني [2] : وحدثنا أبو علي أن أحمد بن يحيى حكى : خذه من حيث وليسا ، قال : هو إشباع ليس .

وحكى الفراء : أكلت لحماً شاة ، أراد : لحم شاة ، فمطل الفتحة : فأنشأ عنها ألفاً .

١- ينظر : الخصائص ٣ / ١٢١ ، ١٢٣ . والمحتسب ١ / ١٦٥ ، ٢٥٨ ، والبحر المحيط ٨ / ٢٩٠ ، ٣ / ٥٠ . والنشر ٢ / ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، واللسان – حتم ١٢ / ١٦٤ . والمصباح – نحر ٣٠٧ ، واللهجات العربية في التراث ٢ / ٦٧٢ ، ٦٨٢ .

٢- ينظر : الخصائص ٣ / ١٢٣ .

وتلك الحكاية السابقة في قول المراد لزوجها ليس هو ابنك [1] .

وقال الفيومي : " والمنحور – مثل عصفور – لغة طيء (يعني في : المنخر) ، والجمع : مناخر ومناخير " [2] .

وروى ابن جني عن قطرب قول بعض العرب : نعيم الرجل زيد ، بإشباع كسرة العين [3] .

ويشبع التميميون كسرة نون اسم الإشارة (ذان) ، فيتولد عن ذلك الإشباع حال الوصل ياء ، يقولون : ذانيك [4] .

وبعض ربيعة وقيس – ونُسب إلى تميم أنهم – يُثبتون ألف (أنا) في الوصل ، يُجرونه مجرى الوقف [5] ، بخلاف غيرهم من العرب ، حيث يحذفون تلك الألف نطقاً حال الوصل ، قال الأشموني : " وفيه خمس لغات ذكرها في التسهيل . فُضْحَاهُنَّ : إثبات ألفه وقفاً وحذفها وصلاً ، والثانية : إثباتها وصلاً ووقفاً ، وهي لغة تميم .. " [6] .

ونسب إلى بعض ربيعة وعدى الرباب إشباع حركة ضمير الخطاب للمؤنث ، يقولون للمرأة : ضربتيه ، وأعطيتكيه ، وفي

١- المحتسب ٢ / ٢١٠ .

٢- المصباح المنير – نحر ٣٠٧ .

٣- ينظر : المحتسب ١ / ٣٥٧ .

٤- البحر المحيط ٧ / ١١٨ .

٥- ينظر : البحر المحيط ٢ / ٢٨٨ ، واتحاف فضلاء البشر ١٦٢ .

٦- شرح الأشموني ١ / ١١٤ .

المذكر يقولون : أعطيتكاه ، بإشباع الفتحة أيضاً ، فينتج عنها ألف [١].

وكان أهل اليمن يقولون فى : عرّف : عرّاف ، وعليها قراءة ستأتى ، وورود الظاهرة فى النثر والقراءات يُرد به على من وجهها بأنها ضرورة ، حيث لا ضرورة فى منثور الكلام أو قراءات القرآن .

كذا وردت شواهد للظاهرة فى بعض الأحاديث والآثار " رُوى عن النبى ﷺ فى مخاطبته امرأة : لو راجعتيه – بإشباع التاء حتى يتولد من كسرها ياء " [٢].

وقد أجاز ابن مالك بقاء ألف (ما) الاستفهامية مع دخول الجارّ ، وقوّى شواهد الشعر بما ورد من ذلك فى قراءات القرآن وألفاظ الحديث ، ومنه ما جاء فى صحيح البخارى عن أنس بن مالك ﷺ قال : قدم علىّ ﷺ على النبى ﷺ من اليمن ، فقال : بما أهللت " [٣]، فهذا مطل لحركة الميم مع دخول الجارّ على لغة من يقول ذلك .

ومنه أيضاً قوله – ﷺ – ليأتين على الناس زمان لا يبالى المرء بما أخذ المال ؟ أمن حلال أم من حرام .

وقول سهل بن سعد – وقد امتروا فى المنبر مم عودة ؟ – : والله إنى لأعرف مما هو [٤].

وحكى قولهم فى الدعاء : آمين ، قال ابن جنى : " هو إشباع

١- اللهجات العربية فى التراث ٢ / ٧٠٦ ، وينظر : الحركات العربية فى ضوء علم اللغة الحديث ١٩٥ .
٢- عن : اللهجات العربية فى التراث ٢ / ٧٠٧ .
٣- صحيح البخارى : عن : إشباع حركات الأبنية فى الشعر ١٤٢ .
٤- ينظر : الأحاديث فى : إشباع حركات الأبنية فى الشعر ١٤٢ .

فتحة الهمزة من : أمين " [١]، فهذا مطل للفتحة ؛ لأنه ليس فى كلام العرب فاعيل من الأسماء .

وأما الشعر فشواهد الظاهرة فيه جد كثيرة ، قال عنترة :

ينباع من ذِفْرىَ غَضُوبٍ جَسْرةٍ ∴ زيّافة مثل الفَنيقِ المُكْدَمِ

قال أكثر أهل اللغة : ينباع كان فى الأصل يَنْبُع ؛ فوصل فتحة الباء بالألف ، وقال صاحب اللسان : أراد ينبَع ، قال : وهذا قول أكثر أهل اللغة [٢]، وقال ابن جنى : أراد ينبع ، فأشبع الفتحة ؛ فأنشأ عنها ألفاً [٣].

وقال عبدة بن الطبيب : [٤]

لمّا وردنا رفعنا ظلّ أردية ∴ وفار باللحم للقوم المراجيل

وأصله : المراجل ، جمع مرجل ، وهو القدر من الطين المطبوخ أو من النحاس ، مطل كسرة جيم (المراجل) ، فنشأ عنها ياء

ومن شواهد الشعر التى بقيت فيها ألف (ما) الاستفهامية مع دخول الجارّ [٥]، قول حسان بن ثابت ﷺ :

عــلامَا قام يشتمنى لئيم ∴ كخنزير تمرغ فى رماد

١- الخصائص : ٣ / ١٢٣ .
٢- ينظر : اللسان – بوع ٨ / ٢٣ ، آ ١٥ / ٤٢٩ ، وقارن : البحر المحيط ٣ / ٥٠ ، والمحتسب ١ / ١٦٦ ، ٢٥٨ ، ٣٤٠ .
٣- الخصائص ٣ / ١٢٢ .
٤- المفضلية ٢٦ – البيت ٤٩ .
٥- ينظر : إشباع حركات الأبنية ١٤١ .

وقول عمر بن أبى ربيعة :

لمقال الصفى فيم التجنى ∴ ولما قد جفوتنى وهجرتا ؟

وعلة النحويين فى حذف الألف هنا : التفرقة بين الاستفهام والخبر ، ولكن بعضهم أوّل ما ورد من مطل ألف (ما) الاستفهامية مع الجارّ على أنه : رد للمحذوف من أجل الضرورة !

وقال أبو ذؤيب [1] :

بينا تعنفه الكماة وروغه ∴ يوماً ، أتيح له جريّء سلفع

وأصله : (بين) مطل الفتحة ؛ فأنشأ عن ذلك ألفاً ، قال ابن جنى : إلا أن هذه الألف – وإن كانت إشباعاً للفتحة فإنها – فى هذا الموضع زيادة لازمة .

وقال الفرزدق : [2]

تنفى يداها الحصى فى كلّ هاجرة ∴ نفى الدراهيم تَنْقاد الصياريف

أراد : (الصيارف) فمطل الكسرة ، فتولدت عنها ياء ، وليس (الدراهيم) فى البيت من المطل ؛ لجواز أن يكون جمع دِرْهام ، مما نطقت به العرب .

١- سر الصناعة ١ / ٢٥ ، والخصائص ٣ / ١٢٢ ، واللسان – بين ١٣ / ٦٥ .

٢- ينظر : سر الصناعة ١ / ٢٤ ، ٢٥ ، والخصائص ٢ / ٣١٥ ، واللسان – درهم ١٢ / ١٩٩ .

وقال آخر الحجج – إبراهيم بن هرمة – يرثى ابنه : [1]

فأنت من الغوائل حيث تُرْمَى ∴ ومن ذمّ الرجال بمُنْتَزاح

أراد : بمنتزح ، فمطل فتحة الزاى ؛ فتولّدت الألف .

وهناك شواهد أخر ، منها ما أنشده الفراء [2] ، وهو من مشهور مسألة المطل :

وأننى حيثما يَسْرى الهوى بصرى ∴ من حيث ما سلكوا أدنو فأنظور

أراد : فأنظر : لكنه مطل الضمة : فنتج عن ذلك صوت اللين الطويل .

ونُسب إلى رجل من قيس غيلان [3] :

فبينا نحن نرقبه أتانا ∴ مُعَلِّق وفضة وزِنادَ راعى

أراد (بين نحن ..) فمطل الفتحة ، فحدثت بعدها ألف

وقال آخر [4] :

أعوذ بالله من العقراب ∴ الشائلات عقد الأذناب

١- المحتسب ١ / ١٦٦ ، ٣٤٠ ، وسر الصناعة ١/ ٢٥ ، والخصائص ٢ / ٣١٦ ، ٣ / ١٢١ ، والبحر المحيط ٣ / ٥٠ .

٢- ينظر : المحتسب ١ / ٢٥٩ ، وسر الصناعة ١ / ٢٦ ، والخصائص ٢ / ٣١٦ ، ٣ / ١٢٤ ، والبحر المحيط ٣ / ٥٠ ، والصاحبى ٣٠ ، واللسان شرى ١٤/ ٤٣٠ ، ١٥/ ٤٢٩

٣- الكتاب ١ / ١٧١ ، والمحتسب ٢ / ٧٨ ، وسر الصناعة ١ / ٢٣ ، والصاحبى ٢١٢ ، واللسان – بين ١٣ / ٦٥ .

٤- ينظر : البحر المحيط ٥ / ٣٠٢ ، ٨ / ٢٩٠ ، واللسان – سب ١ / ٤٦٠

أراد : العقرب ، فمطل فتحة الراء ، فحدثت الألف عن ذلك .

ومن المطل فى الأسماء مطل فتحة النون من ضمير المتكلم (أنا) حال الوصل ، وله شواهد فى القراءات والشعر ، وأما القراءات فستأتى ، وأما الشعر فكقول الأعشى : [1]

فكيف أنا وانتحالى القوافى ∴ بعد المشيب كفى ذاك عاراً

وقول حميد بن بجدل الكلبى :

أنا سيف العشيرة فاعرفونى ∴ حميد قد تذريت السناما

وقول الآخر :

أنا أبو سعد إذا الليل دجا ∴ يخال فى سواده يَرَنْدَجا

ويؤكد كون هذا الضرب من مطل اللين لغة لا ضرورة قول الرضى : " وبعض العرب يصل أنا بالألف فى الوصل أيضاً فى السعة " [2] لا اضطراراً .

وما حدث من مطل اللين ف الأفعال قول الشاعر ، وأنشده الفراء [3] :

لو أن عمراً هَمّ أن يرقودا ∴ فانهض فَشُدّ المئزر المعقودا

أراد : أن يرقُدَ ، ومطل ضمة القاف ، فنتج صوت اللين الطويل

ومما سبق نقله وتوثيقه فى مبحث حكم (المطل) قول الشاعر :

١- ينظر : إشباع حركات الأبنية فى الشعر ١٤١ .
٢- شرح الشافية ٢ / ٢٩٥ .
٣- ينظر : اللسان - أ ١٥ / ٤٢٩ .

ممكورة جُمَ العظام عُطْبُولْ ∴ كأن فى أنيابها القَرَنْفُولْ

وقال آخر :

لا عـهـد لى بنِيضالْ ∴ أصبحت كالشنّ البالْ

أراد (بنضال) ، قال أبو العباس ثعلب : " إنه أشبع الكسرة : فأتبعها الياء ، كما قال الآخر : أدنو فأنظور ، أتبع الضمة الواو اختياراً ... " [1] .

وقال غيره : [2]

قلت ، وقد خَرّت على الكلكال ∴ باناقتى ما جُلْت عن مجائى

أراد : على الكلكل ؛ فوصل الكاف بالألف .

ومن الإشباع الذى لم يتأثر له إعراب الشاهد ، ذلك المطل الوارد فى بيت لامرئ القيس - ودار حوله خلاف طويل - قال : [3]

له متنتان خظاتا كما ∴ أكبّ على ساعديه النمر

قال ثعلب : إنه (خطتا) فلما تحركت التاء أعاد الألف من أجل الحركة والفتحة ، وقال المبرد : إنه أراد الإضافة ، فحذف النون ، فأخرج الكلمة عن كونها فعلاً أصلاً . وتوجيه ثعلب لما نحن فيه وأقرب .

١- اللسان : - نضل ١١ / ٦٦٥ ، وقارن آ ١٥ / ٤٢٩ .
٢- البحر المحيط ٣ / ٥٠ واللسان آ ١٥ / ٤٢٩ .
٣- ينظر : ديوانه ١٦٤ ، وإشباع حركات الأبنية فى الشعر ١٣٨ .

وما مضى من شواهد لم يتأثر فيها موقع الكلمة ولا إعرابها بحدوث مطل الحركة ، لكنّا وجدنا شواهد أُخَرَ لاحظنا من خلالها تأثر إعراب الكلمات التى دخلها المطل ، أو تلاشى أثر العامل بحدوث مطل الحركة [1] ، وأكثر ما يكون ذلك فى الفعل المعتل الناقص الذى تُوجب القواعد قَصْر حركة آخره حال الجزم ، أو بتعبير النحويين : يُحذَف منه حرف العلة ، ولكن – مع المطل أو الإشباع – تبقى حركته طويلة ، وكأن لم يحذف منه شىء ، أو تصير صورة الفعل مع الجازم كهيئته بدونه . فمن ذلك :

قال عبد يغوث بن وقاص الحارثى – جاهلى – [2] :

وتضحك منى شيخة عبشمية ∴ كأن لم ترى قبلى أسيراً يمانياً

مطل فتحة الراء ؛ فعاد الفعل كأن لم يدخل عليه جازم !

وأنشد أبو زيد – قيل : هو لرؤبة – [3] :

إذا العجوز غَضِبت فطلّق ∴ ولا تَرضاها ولا تَملّق

قال ابن منظور : أثبت الألف من ترضاها فى موضع الجزم ، تشبيهاً بالياء فى قوله ... قلت : هذا شاهد آخر لمطل صوت اللين ،

١- ينظر : أيضاً : إشباع حركات الأبنية فى الشعر ١٣٨ ، وخصائص عجمى طىء والأزد ٢٩

٢- فى العين ١ /٦٨ ، ٦٩ ، والقطعة ٣٠ من المفضليات ١٥٣ ، والمحتسب ١ / ٦٩ ، والمخصص ١٤ / ٩ ، والأشمونى ١ / ١٠٣ ، ونوادر المخطوطات ٢ / ٢٤٦ .

٣- الخصائص ١ / ٣٠٧ ، والمخصص ١٤ / ٩ ، واللسان – رضى ١٤ / ٣٢٤ ، والبحر المحيط ٦ / ٢٦٤ .

قال قيس بن زهير العبسى : [1]

ألم يأتيك والأنباء تَنمى ∴ بما لاقت لبونُ بنى زياد ؟

أصله : ألم يأتك ، فلما مطل تلاشى أثر الجازم .

وقال أبو عمرو بن العلاء – وهو مما استُدلّ به على أن اسمه زَبّان – : [2]

هَجَوْت زبّانَ ثم جِئْتَ معتذراً ∴ من هَجْو زبّان لَمْ تَهْجُو ولَمْ تَدَعُ

وفى مجالس ثعلب [3] :

كأن العين خالطها قذاها ∴ بعوار فلم تقضى كراها

مطل كسرة الضاد ؛ فتولد عنها الصائت الطويل .

وهناك إشباع أو مطل فى فعل الأمر الناقص الذى نصّت قواعد النحو فيه على بنائه على ما يُجزم به مضارعه ، أى : حذف حرف العلة ، أو – بعبارة أخرى – حذف حركته الطويلة عند خطاب الواحد به ، فمن ذلك قولُ الشاعر : [4]

أبا خالد فاكسوهما حلّتيهما ∴ فإنكما – إن تفعلا – فتيان

١- الكتاب ٣ / ٣١٦، والمحتسب ١ / ٦٧ ، والخصائص ١ / ٣٣٣ ، ٣٣٦ واللسان – رضى ١٤ / ٣٢٤ . والأشمونى ١ / ١٠٣ .

٢- ينظر : نزهة الألباء تح : أبو الفضل ٢٤ . ونسب للفرزدق ، وينظر : الأشمونى ١ / ١٠٣ ، واختلف فى ضبط (لَمْ) وهى من الشاهد نسب .

٣- مجالس ثعلب ١/ ٣٨

٤- ينظر : إشباع حركات الأبنية فى الشعر ١٣٩ .

وقول الآخر :

ثم نادى إذا دخلت دمشقاً ∴ يا يزيد بن خالد يا يزيد

وإثبات حرف العلّة – أو مطل حركة الفعل الناقص بعد دخول الجازم – يبدو لكثرة شواهده أنه لهجة [1]، ومما يلفت الانتباه هنا أن أغلب شواهد مطل المضارع كانت بعد (لم) ، وكأنهم لم يُعملوها ، ولعل لهذا علاقة بما يذكره النحويون من أن (لم) قد تُلْغَى فلا يُجزم بها ... حملاً على : (لا) أو : (ما) ، وعلى الإهمال ما أنشده الأخفش :

لولا فوارسُ من ذُهْل وأسرتهم ∴ يوم الصُّلَيْفاءِ لم يوفون بالجارِ

وقد صرح بعض النحويين بأن إهمالها لغة [2]، لكن كثيراً من علماء النحو لم يعترفوا بهذا المسلك اللغوى فى مطل صوت اللين ، وراحوا يتلمسون تخريجات لهذه اللهجة هى – فى نظرى – أقرب إلى التكلّف ، وما ذاك إلا لتستقيم لهم قواعدهم التى أرسوها بالاستنباط والنظر فى الأعم الأغلب من كلام العرب ، مع غضّ الطرف عما عدا ذلك من لهجات قبليّة تخالفه .

فهم تارة يدعون أن للبيت رواية أخرى لا يتأتى معها شاهد المطل ويتحاشون تخريجه على أن ضرورة ؛ لأنهم عندما تكلّموا فى الضرورات " لم يُبيحوا للشعراء فيها رفع منصوب ، ولا نصب

١– أشار المرزبانى فى الموشح ٣٣ إلى أنه لغة لطئ .

٢– ينظر : شرح الأشمونى ٤ / ٥ ، ٦ .

مخفوض ، ولا لفظ يكون المتكلم فيه لاحناً ، ومتى وُجد هذا فى شعر كان ساقطاً مطرحاً ، ولم يدخل فى باب : ضرورة الشعر " [1].

وهم – تارة ثانية – يحكمون بالخطأ على الشعراء ، مع أن منهم الجاهليين ومن استشهدوا بشعرهم فى قواعدَ أخرى ، وربما يخرجون الشاهد أيضاً على أنه ضرورة [2]، مع أن السياقات وتنوع الشواهد تقضى بخلاف ذلك !

أعنى بالسياقات أن الشاعر كان يمكنه أداء المعنى بلفظ آخر لو لم يكن المطل من لغته ، فلم يكن مضطراً إلى المطل تكلفاً ، بل هو من لهجته ، ولعل مما يُستأنس به لصحة هذا ما نقله ابن منظور فى قول الشاعر : ولا ترضاها ولا تملق " قال : " .... وإنما فعل ذلك لئلا يقول : تَرَضَّها ، فيلحق الجزء خبنٌ ، على أن بعضهم قد رواه على الوجه الأعرف : ولا تَرَضّها ولا تملق ، على احتمال الخبن " [3].

والخبن زحاف يسقط به الثانى الساكن من التفعيلة ، وهو كثير فى الشعر ، لم يتجنّبه من مطل البيت لامتناعه صنعةً ، وإنما مطل صوت اللين ومضى على ما ألف وتعوّد ، وأعنى بتنوع الشواهد : ورود مطل اللين – إلى الشعر – فى الحديث على ما مضى وفى القراءات القرآنية – على ما سيأتى – وكل هذا لا ضرورة فيه .

١– شرح السيرافى لكتاب سيبويه – عن : إشباع حركات الأبنية ١٣٨ ، ١٣٩

٢– ينظر : خصائص فحش طئ والأزد ٣١ .

٣– اللسان – رضى ١٤ / ٣٢٤ .

ولقد كان النحويون فى غُنية عن تكلف توجيهات وادعاء روايات ، لو اعترفوا بأن هذا يمثّل لهجة عربية لم تنتظمها قواعدهم ، فما ضرّهم من ذلك ؟ ولقد أقرّ بعض اللغويين القدامى بحدوث المطل فى النثر ، قال ابن جنى عن مطل الحركة إنه : " قلّما يجئ فى النثر " [١].

ومهما يكن من أمر ففى رأينا أن إشباع الحركة لم يكن مطرداً فى الأمثلة السماعية التى لم تستوف أحد أسباب المطل ، بل كان الناطق يسلك هذا المسلك عندما يريد الاهتمام والتركيز ولفت الانتباه إلى بعض المعانى [٢] ، وهذا يدخل تحت ما اصطلح المحدثون عليه بالنبر الدلالى أو نبر السياق فمن قال : (بُمتزاح) أراد المبالغة فى البُعْد والتنزيه ؛ فبالغ بإطالة صوت اللين ، ومن مطل المراجل (المراجيل) أشار إلى شدّة الكرم وزيادته واتساع الضيافة ؛ فزاد فى صوت اللين ، ومن قال (ينباع) قصد وفرة السيولة وكثرتها ؛ فأكثر فى المد ... وهكذا إذا أعملت الحِسّ فى أشباهه تجدها منقادة طيّعة بحول الله ، وربما عدنا إلى بعض تلك المعانى التى لم تكن تظهر إلا بمطل صوت اللين فى الفصل الذى يلى هذا .

١- المحتسب : ١ / ٣٤٠ .

٢- ينظر : خصائص لهجتى طىء والأزد ٣١ .

المبحث الثالث

مطل أصوات اللين

فى

القراءات القرآنية

مطل أصوات اللين فى القراءات القرآنية

حظيت أصواتُ اللين فى القراءات القرآنية بعناية كبرى من علماء التجويد والقراءات ، وكان الخالفون منهم يتناولون كلام السابقين فيها بالشرح والتوضيح والتقسيم والتمثيل ، هذا المرادى يقول : " والكلام على ذلك ، يتضح ببيان ستة أشياء ، هى : المدّ ، وحروفه ، وعِلّة اختصاصها به ، والأصل منها ، وأمكنها فيه ، وسببه " [1].

وقد بحثوا دقائق تتصل بها ، فهذا ابن الجزرى يذكر اختلاف النحويين واللغويين فى الحركات الثلاث : الضمة والفتحة والكسرة ، هل هى مأخوذة من حروف المد واللين الثلاثة ، أو حروف المد واللين مأخوذة من الحركات [2] ؟ ... ثم قسم المد ، وقال : " اعلم انه لا يُزاد على ما فى حروف المدّ واللين المذكورة من المدّ إلا بموجب ،والموجب إما همز ، وإما سكون ، وإما تشديد ... " [3].

وحروف المد واللين فى العربية تتعرض عند أدائها فى التركيب القرآنى للتقصير حتى تصير حركاتٍ ، وربما حُذفت ؛ فآل الأمر إلى سكون ، وتختلف القراءات فى ذلك .

١- المفيد – عن : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ٥٢٢ .
٢- ينظر : التمهيد ٧٨ – ٨١
٣- التمهيد ١٦١ .

كما تتعرض هذه الأحرف أيضاً للمطل والتطويل والإشباع ، فتصير ضعف طولها الأصلى أو أكثر ، وربما مُطلت الحركة فصارت حرفاً ، بل تؤدى التغيرات التركيبية فى السمع القرآنى وفى بعض القراءات إلى إحلال الحركة محل السكون أحياناً ؛ فيصير هذا أشبه بمطل السكون !

فهذه الأصوات فى العربية بصفة عامّه – أعنى ؛ الحركات وحروف المد – تتميز بقابلية زمنها للامتداد فوق الزمن الأصلى ، كما تقبل أيضاً اختزال ذلك الزمن إلى أدنى من مُدّته الأصلية ، بخلاف الأصوات الصامتة ، فإنها آنية الحدوث [1]

ولهذه الخصوصية فى أصوات المد واللين – أى : قابليّة زمنها للاختزال والانبساط – وضع علماء التجويد والقراءات لها ضوابط تُعرف من خلالها مقادير المد ، " والمعروف أن نطق الصوائت – فى العربية الفصحى – له مدة يستغرقها ، ويُقدّرها القراء حسب طرائقهم ، وهم ينظرون إلى هذه الأصوات حسب وقوعها فى الكلمات والأصوات السابقة عليها أو التالية لها " [2].

١- تختلف الصوامت هنا أيضاً ، فالأصوات الانفجارية الشديدة منها لا تقبل الامتداد البتة ، أما الاحتكاكية الرخوة فتقبل ذلك بقدر يسير لا تقارن معه بأصوات اللين ، كما أن المبالغة فى مدّ هذا الضرب من الصوامت يخرج بها عن حدّ كون الصوت مفرداً ، فقد يتعدد نتيجة تلك المبالغة – راجع أيضاً ما ذكرنا فى حكم المطل ، أصواته (حروف المد واللين) الخصخصة) ، وقارن : الأصوات اللغوية – محمد على الخولى ٤٥ .
٢- الأصوات اللغوية فى لهجة صنعاء ٢٦١ .

كما عُنيت بعض الدراسات الصوتية الحديثة أيضاً بمقاييس أصوات اللين ، ولعل من أبرزها ما يعرف بنظرية دانيال جونز التى عُنيت بمقادير المد فى أصوات اللين ، وأوضاع اللسان والشفتين معها .

وأدّت هذه الخصوصيّة فى أصوات اللين العربية وما يحدث معها من مطل زائد فى بعض القراءات إلى اعتراض جماعه وتغليطهم بعض القراءات بحجة أن إشباع المد فيها يخرج بالخبر إلى معنى الاستفهام ، وتحدث مكى بن أبى طالب عن ذلك فى الرد على شُبه المعترضين قائلاً : و" أن أكثر ما يعترضون به أن يقولوا : من مد (آمن) و : (آتى) وشبهه فقد أخرجه من حيِّز الخبر إلى حيز الاستفهام .

وأنا أبين لك فساد ذلك الاعتراض خاصة دون غيره من الاعتراضات ؛ إذ قد وصل إلىّ فى هذا المد من الاعتراضات أشياء كثيرة ، وقد نقضتها وجعلتها مرفوضة ... يجب على قولك أيها المعترض ألا يكون لك الاستفهام أبداً إلا ممدوداً ؛ لأنك جعلت المد أصلاً للاستفهام ، حين قلت (آمن) أخرجه بالمد من حيز الخبر إلى حيز الاستفهام ونحن نُريك أيها المعترض الاستفهام فى كتاب الله عز وجل غير ممدود عندنا ، وذلك نحو قوله تعالى : { أفترى على الله كذباً }[1] ، { أستكبرت أم كنت }[2] ، { أستغفرت لهم }[3] ...

١- سبأ ٨ .
٢- ص ٧٥ .
٣- المنافقون ٦ .

وشبهه كثير غير ممدود ولفظه لفظ الاستفهام ، فهذا مما يبطل أصلك الذى أصّلت ، وجعلت الاستفهام من شرط المد ... ويُقال : نريك نحن أيها المعترض الخبر فى القرآن ممدوداً قدر ألفين ، وذلك نحو قوله تعالى { ولا آمين البيت الحرام } ، هذا خبر ، وهو ممدود قدر ألفين عندنا وعندك ... فقد حصل الخبر أشبع مدّاً من الاستفهام ، فهذا نقض لاعتراضك بأن المدّ من علامات الاستفهام ... "[1] .

وهذا الجواب من مكى إنما هو تأصيل لظاهرة المطل فى بعض القراءات ، وبرهان على أنه لا يوجد تلازم شرطىّ بين حصول معنى الاستفهام وظاهرة إشباع مد أصوات اللين ، فقد يوجد مطل الصوت ولا استفهام ، وربما وُجد الاستفهام ولا مطل ، كما يتأتى معنى الإخبار مع المد ، وربما لا يُلمح معنى الخبر أيضاً حيث لا مدّ .

على أننا نستنتج نتيجة أخرى – وهى أهمّ محصّلات هذا البحث – من خلال شبهة المعترضين على إشباع المد فى تلك القراءات ، ومن جواب مكى أيضاً ، وتتخلص هذه النتيجة فى أن هناك إجماعاً من القدماء على تلك الدلالات والإيحاءات المعنويّة التى تحصل بمطل حروف اللين ، ولا تُلمح بدون مطل .

١- تمكين المد ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٧ بإيجاز .

أنماط المطل وأمثلته فى القراءات

أ - تحريك الساكن :

ذكره ابن جنى واستشهد له فى مطل الوقف للتذكّر والشكّ والتلّوم ؛ ليعلم السامع أن الكلام لم يتّم ، وذلك أن الأصل فى الوقف السكون ، ولكن المتذكّر والشاكّ ... يمطل السكون ويُطيلها إلى حركة ؛ لكى يستدعى ما غاب عن ذهنه ، فلا يقطع الكلام .

قال ابن جنى : " وإنما مُطلت ومُدّت هذه الأحرف فى الوقف وعند التذكر ، من قبل أنك لو وقفت عليها غير ممطولة ولا ممكّنة المدة ... لم تُوجِد فى لفظك دليلاً على أنك متذكر شيئاً ولأوهمت كلّ الإيهام أنك قد أتممت كلامك ، ولم يبق من بعده مطلوب متوقع ؛ لكنك لما وقفت ومطلت الحرف ، عُلم بذلك أنك متطاول إلى كلام تال للأول منوط به ، معقود ما قبله على تضمنه وخلطه بجملته ... والمعنى الجامع بين التذكر والندبة قوّة الحاجة إلى إطالة الصوت فى الموضعين ... فإن كان الحرف الموقوف عليه ساكناً ، فعلى ضربين : (صحيح ومعتل) فالصحيح فى نحو هذا يُكسر ؛ لأنه لا يجرى الصوت فى الساكن ، فإذا حُرِّك انبعث الصوت فى الحركة ، ثم انتهى إلى الحرف ، ثم أشبعت ذلك الحرف ومطلته .

وذلك قولك : فى نحو (قد) - وأنت تريد : قد قام ونحوه ، إلا أنك تشك أو تتلوّم لرأى تراه من ترك المبادرة بما بعد ذلك - : قدى ، وفى (من) : منى ، وفى (هل) : هَلِى ، وفى (نعم) : نَعَمِى ،

أى : نعم قد كان ، أو : نعم هو هو ، أو نحوه مما تستذكر ، أو تراخى بذكره ، وعليه تقول فى التذكّر إذا وقفت على لام التعريف : إلى ، وأنت تريد : الغلام ، أو الخليل ، أو نحو ذلك .

وإنما كانت حركة هذا ونحوه الكسرة دون أختيها ، من قبل أنه ساكن قد احتيج إلى حركته ، فجرت حركته إذاً مجرى حركة التقاء الساكنين فى نحوه : { قلِ اللهم }[1] و : { قمِ الليل }[2] ، وعليه أُطلق المجزوم والموقوف فى القوافى المطلقة إلى الكسر "[3] فقد جرى التخلص من التقاء الساكنين هنا مجرى المطل بمدّ إحداهما إلى كسرة ، وقد وجدناه - فيما مثّل ابن جنى - ينتظم تحريك الساكن فى وسط الكلمة كلام التعريف ، وتحريك الساكن من نهاية الكلمة الموقوف عليها ، وتجمع هذا وذاك أغراضُ : التذكر والشك والتلوم .

وإلى ما يُشبه هذا - لكن فى غير قراءات القرآن - أشار برجشتراسر إلى ضرب من تحريك الساكن ، فيما سّماه زيادة الحركة ، قال : " والنوع الآخر من أنواع تغيرات الحروف الصائتة ، وهو الزيادة ، فنادر أيضاً فى العربية ، منه أن أكثر الأسماء التى وزنها (فُعْل) قد تكون على : (فُعُل) أيضاً . نحو : أُذْنْ ، وأُذُنْ ... فنرى من ذاك أن (أُذْن) بالذال الساكنة هى الأصل ، وأن (أُذُن) المتحركة مقلوبة منها .

١- آل عمران ٢٦ .
٢- المزمل ٢ .
٣- الخصائص ٣ / ١٢٨ : ١٣٠ بإيجاز حذف .

ومن الزيادة : زيادة حركة بعد حرفين ساكنين فى آخر الكلمة ، نحو : (يمُر) أو : (يمُدّ) فى المضارع المجزوم من الأفعال المضاعفة .

وزيادة حركة بعد حرف ساكن فى أخر الكلمة ، إذا تبعته همزة الوصل ، نحو : (عنِ البيت) و : (زيد الطويل) ، وهاتان القاعدتان مطردتان ، وسائر أنواع زيادة الحركة اتفاقية "[1].

ولعل تسميته هذا النمط من مطل السكون بالزيادة يرجع لاعتباره الحرف الساكن غير مشغول ، وظهرت الحركة عليه يعد زيادةً ، والفرق بينه وبين ابن جنى فى هذا الموضع واضح ، فابن جنى وظّف حسّه فيما يُشبه القراءة النفسية لفكر المُشْبع ، وانتهى إلى ما ذكرنا من أغراض المطل ودلالاته ، أما برجشتراسر فأشار إلى ما ظهر له من الأمثلة ، دون بحث وراءها ، أو سبر لأغوارها .

ب - مطل الفتحة إلى ألف

قرر علماء العربية أن ألف الضمير (أنا) تثبت – فى اللغة الأفصح – عند الوقف ، ولكنها تقصر عند الوصل ، حيث يُكتفى محلها بالفتحة ، وهذه هى اللغة الأعلى [2] ، ولكن من العرب من يمطل فتحة (أنا) فى الوصل ؛ فتثبت ألفاً ، وعليه ما سبق من شعر للأعشى وحميد بن بجدل الكلبى – فى الفصل السابق – وقرئ :

١- التطور النحوى ٦٩ ، ٧٠ .
٢- ينظر : شرح الأشمونى ١ / ١١٤ .

{ وأنا أعلم بما أخفيتم } [1] ، بمطل فتحة نون الضمير (أنا) وصلاً ووقفاً ، وذكر الرضىّ أنها لغة ، وليست من الضرورات ، قال : " وبعض العرب يصل (أنا) بالألف فى الوصل أيضاً فى السّعة " [2] ، ومع هذا لم يجد بعض النحويين حرجاً فى عدّها من الضرائر ، بل إن بعضهم أنكر اللغة ، وتأوّل ما جاء فى القراءة [3] .

- ومن مطل الفتحة قراءة الحسن : { وأعتدت لهنّ متكاءً } [4] ، بألف بعد الكاف ثم الهمزة

- وقرأ سعيد بن المسيب وعكرمة : { عرّاف بعضه } [5] ، بمطل فتحة الراء ، وذكر أبو حيان أنها من لغة اليمن . يقولون : عَرّاف فى معنى عرَّف .

- وقرىء : { فقاتلوا آئمة الكفر } [6] بمطل فتحة الهمزة لتصير ألفاً . وعليه قراءة : {سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنسَى } [7] ، على رأى من جعل (لا) ناهية ولم يجزم بها ؛ لتوافق رءوس الآى ، وقيل : الألف ناشئة عن إشباع الفتحة .

١- الممتحنة ١ ، وينظر : البحر ٢ / ٢٨٨ ، والإتحاف ١٦٢ .
٢- شرح الشافية ٢ / ٢٩٥ .
٣- ينظر : إشباع حركات الأسية ١٤١
٤- يوسف ٣١ ، وينظر : المحتسب ١ / ٣٤٠ .
٥- التحريم ٣ ، وينظر : البحر ٨ / ٢٩٠ .
٦- التوبة ١٢ ، وينظر : الإتحاف ٢٤٠ .
٧- الأعلى ٦ ، وينظر : إملاء ما منّ به الرحمن للعكبرى ٢ / ٢٨٥ .

- وقراءة حمزة : { لا تخفْ دركاً ولا تخشى }[1] ، بمطل حركة الشين مع الجزم ، فهذه قراءة سبعيّة ، ورد فيها الفعل الناقص مجزوماً غير محذوف الآخر .

- وقرأ عكرمة وعيسى : { عما يتساءلون }[2] ، بمطل فتحة الميم من (ما) الاستفهامية ، التي تحذف ألفها في اللغة العامة لدخول الجارّ ، قال ابن جنى عن لغة المطل هنا : "وهى أضعف اللغتين " ، فهذا يدلّك على أنها لهجة عربية ، وما جاء من الشعر الذى أوردناه فى الفصل السابق إنما هو على وفاق تلك اللهجة .

ج - مطل الضمة إلى الواو

- قرأ الحسن : { سأوريكم دار الفاسقين }[3] ، بمطل ضمة الهمزة ، فتولدت عنها الواو ، وقد رُسمت فى المصحف بواو صريحة ، ولعلّ ذلك مراعاة للمطل والإشباع فى لغة من كان ذلك من لغته ، قال ابن جنى : " ظاهر هذه القراءة مردود ؛ لأنه سأفعلكم من : رأيت ، وأصله : سأُرْئيكم ، ثم خُففت الهمزة بحذفها وإلقاء حركتها على الراء ؛ فصارت : سأريكم ، قالوا : وإذن لا وجه لها " .

١- طه ٧٧ ، وينظر : السبعة ٤٢١ .
٢- النبأ ١ ، وينظر : المحتسب ٢ / ٣٤٧ .
٣- الأعراف ١٤٥ ، وينظر : المحتسب ١ / ٢٥٨ ، والنهر المادّ من البحر - هامش البحر ٤ / ٣٨٨ .

ثم قال - بعد أن استأنس لهذا المطل بشواهد من كلام العرب شعراً ونثراً - : فإذا جاز هذا ونحوه نظماً ونثراً سائغاً أيضاً أن يُتأوّل لقراءة الحسن { سأوريكم } أراد : سأريكم ، وأشبع ضمة الهمزة ، فأنشأ عنها واواً ... وزاد فى إحتمال الواو فى هذا الموضع أنه موضع وعيد وإغلاظ ، فمكّن الصوت فيه ، وزاد إشباعه واعتماده ، فألحقت الواو فيه لما ذكرنا "[1] .

فهذا الذى عبّر عنه ابن جنى بتمكين الصوت فى قوله : (فمكّن الصوت فيه) هو ما لحظه المحدثون فى النبر وعبّروا عنه : بقُوّة دفع الهواء ، وأما قوله : (واعتماده) فهو ما عبر عنه المعاصرون فى دراسة النبر : بالارتكاز النبرىّ القوىّ[2] .

- قرأ زيد بن على : { ولا تقفو ما ليس لك به علم }[3] ، بإشباع الضمة ومطلها واواً .

- وقد قرأ بعض القراء : { سندعو الزبانية }[4] ، بواو وبعضهم بلا واو ، وكذا فى قوله تعالى : { ويدع الإنسان بالشر }[5] ،

١- المحتسب ١ / ٢٥٨ ، ٢٥٩ .
٢- ينظر فى هذا التعبير : علم اللغة د / السعران ٦ . ٢ ، ٧ . ٢ .
٣- الإسراء ٣٦ ، وينظر : البحر ٦ / ٣٦ .
٤- العلق ١٨ .
٥- الإسراء ١١ .

فمن أشبع مطل الفتحة [1] ، وهذا صلة بما ذكره ابن جنى فى :

{ ويمح الله الباطل }[2] ، و : { سندع الزبانية } ، وأنهما

رُسما فى المصحف بلا واو للوقف عليها [3] .

- وأورد صاحب الكشاف - وهو بسبب مما نحن فيه وإن لم يكن

مطلاً - شاهداً لقراءة من قرأ : { قد أفلحُ المؤمنون } [4] ،

وقرأ يحيى بن يعمر : { على الذى أحسنُ } [5] بالرفع ،

وأصله : أحسنوا ....

د - مطل الكسرة إلى ياء :

- روُى عن ابن عامر - وهو أحد السبعة ، بل أقدمهم - وهشام

أنهما قرءا : { فأجعل أفئيدة من الناس } [6] ، بمطل كسرة

الهمزة ؛ فتولد عنها اللين الطويل (الياء) ، وقال ابن

الجزرى : ليست ضرورة ، بل هى لغة مستعملة .

قلت : ورودها فى القرآن والحديث والنثر دليل على أنها لغة ،

حيث لا ضرورة فيما ذكرنا .

١- ينظر : اللهجات العربية فى التراث ٢ / ٦٨٨ .

٢- الشورى ٢٤ .

٣- ينظر : الخصائص ٢ / ٢٩٣ .

٤- المؤمنون ١ ، وينظر : اللهجات العربية فى التراث ٢ / ٦٨٨ .

٥- الأنعام ١٥٤ .

٦- إبراهيم ٣٧ ، وينظر : النشر ٢ / ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، والإتحاف ٢٧٣ .

- قرأ ابن كثير : { يوم يأتى لا تكلم نفس إلا بإذنه } [1] يأتى عنده

بإثبات الياء وصلاً ووقفاً ، وهى ثابتة فى مصحف أبىّ ، وأما

أبو عمرو والكسائى ونافع فإثباتها وصلاً وحذفها وقفاً .

والباقون بحذف الياء وصلاً ووقفاً ، فما روى عن ابن كثير

مطل للكسرة .

- وقرأ ابن كثير أيضاً : { إنه من يتقى ويصبرْ } [2] ، بعطف الفعل

الثانى مجزوماً على الأول ، مع مطل كسرة قاف (يتقى) ،

فتولد عن ذلك اللين أو الصائت الطويل .

- وقريب من هذا ما ذكره أبو حيان من أن التميميين يُشبعون

كسرة نون (ذان) عند أضافتها إلى كاف الخطاب ،

فيقولون : (ذانيك) [3] ، بمطل الكسرة إلى ياء .

هـ - مطل اللين الطويل :

ويتّم ذلك بالمبالغة فى طوله ومضاعفة زمن النطق به تمكيناً له ،

وقد خص ابن جنى هذا الضرب من المطل بباب مستقبل ، قال فى

مطلعه : " والحروف الممطولة هى الحروف الثلاث اللينة المصوّتة ،

وهى الألف والياء والواو ... " [4] .

ثم شرع فى ذكر الأسباب اللفظية للمطل من الهمز والحرف

المشدّد ، وكذا الأسباب المعنوية كالتذكر ، على نحو ما استوفيناه فى

مبحث أسباب المطل .

١- هود ١٠٥ ، وينظر : البحر ٥ / ٢٦١ ، ٢٦٢ .

٢- يوسف ٩٠ ، وينظر : السبعة ٣٥١ .

٣- ينظر : البحر المحيط ٧ / ١١٨ .

٤- الخصائص ٣ / ١٢٤ .

وتكاد آراء علماء التجويد والقراءات تُجمع على أن مطل ما اتصل من أصوات اللين بالهمز – وهو ما اصطلحوا عليه بالمد المتصل – واجب [1] ؛ إذ لا خلاف فى إشباعه وتمكينه ومدّه مداً فرعياً زائداً على مقدار المدّ الطبيعى ، وإن اختلفوا فى مقدار هذه الزيادة ، وقد سموه : المد الواجب المتصل ؛ " وسُمى واجباً لإجماع القراء على مدّه زائداً عن المد الطبيعى ، وسُمى متصلاً لاتصال الهمزة والمد فى كلمة واحدة " [2] ، ومن أمثلته : الملائكة – السماء – يضىء – سىء بهم – من سوء – أن تبوء ...

وأما ما يعرض من مطل اللين الطويل بسبب السكون والتشديد ، فمنه : من دابّة – الضالّين .. وهذا لابّد من مطله وإشباعه فى القرآن ؛ اتباعاً للرواية فيه ، وأما فى حديث الناس من غير القرآن فيتركون ذلك الإشباع تخفُّفاً ، وقد صرّح مكى بن أبى طالب بالمسلكين قائلاً : " فأما فى القرآن فلا بد من إشباع المد اتباعاً للرواية ، وإلا فترك إشباع المد جائز فيه فى الكلام " [3] .

وينضم إلى هذا وذاك فى القراءات نما رووه من المطل أو إشباع المد لغرض المبالغة فى النفى [4] ، وهو السبب المعنوى ، كما فى { لا ريب فيه } [5] ، ومدة التعظيم فى { لا إله إلا الله } [6] .

١- ينظر : التيسير ٣٤ ، والنشر ١ / ٣١٣ : ٣١٥ .
٢- نظرات فى علم التجويد ٨٢ .
٣- الكشف ١ / ٦٨ .
٤- ينظر : النشر ١ / ٣٤٤ .
٥- البقرة ٢ .
٦- الصافات ٣٥ ، ومحمد ١٩ .

المطل فى القراءات

أغراضه وعلاقاته

لاشك أن المطل ضرب من إطالة الصوت ، ووراء هذه الإطالة فى القراءات أغراض وأسباب معنوية فى كل موضع ، وقد كان للسلف من علماء القراءات واللغويين سهم فى كشف بعض تلك الأغراض .

ويبدو أن لمطل الحركات والحروف علاقة بالإطناب البلاغى ؛ ولذا " قيل لأبى عمرو : أكانت العرب تطيل ؟ فقال : نعم لتبلغ ، قيل : أفكانت توجز ؟ قال : نعم ليحفظ عنها " [1] . فللمطل أغراض كما أن للإيجاز أغراضاً ، وتخريج المطل على غير هذا الوجه يُلجىء إلى إغفال وتكلّف .

نحن نقرّ بأن التخريجات وبيان الأغراض لا تتأتى دائما بيُسر ، ونتحفّظ أيضاً عن تكلف تلك الأسباب ، ولكن فى مقابل هذا لا يسعنا إهمال ما ظهر من ذلك ، فنحن مع قول من قال : كُلّ حرفين أوقعتهما العرب على معنى واحد فى كل واحد منهما معنى ليس فى صاحبه ، ربما عرفناه فأخبرنا به ، وربما غمض علينا فلم نلزم العرب جهله ، (وإن) الأسماء كلها لعلة خصت العرب ما خصت منها ، من العلل ما نعلمه ، ومنها ما نجهله " [2] .

١- الخصائص ١ / ٨٣ .
٢- ينظر : المزهر ١ / ٣٩٩ ، ٤٠٠ .

وتفسير الظاهرة الصوتية أعلى مراتب الدرس الصوتى ، وذلك للكشف عن أسبابها ومعرفة تاريخها ... ولأنه يبنى عليه — إلى ذلك — تفسيرات دلالية وبيوية ونحوية تركيبية .

ومن هنا نحن نؤمن بأن ظاهرة مطل أصوات اللين — وبخاصة فى القراءات — لم تكن أبداً عفو الخاطر ، وقول ابن جنى فى توجيه قراءة الحسن { سأوريكم } : " وزاد من احتمال الواو ... أنه موضع وعيد وإغلاظ ، فمكّن الصوت ... " إشارة صريحة إلى أن المطل كان لغرض دلالى ، وهو إظهار معنى لا يتأتى إلا بذلك الإشباع . ويؤكد هذا قوله فى موضع آخر عن مذهب العرب فى ألفاظها ومعانيها : إن العرب " قد تحمل على ألفاظها لمعانيها ، حتى تعطى الإعراب لصحة المعنى "[1] .

كما أكد هذا أيضاً بباب مستقل فى كتابه الخصائص ، جعله للرد على من ادعى على العرب عنايتها بالألفاظ وإغفالها المعانى[2] ، كان منه قوله : فإن المعانى أقوى عندها ، وأكرم عليها ، وأفخم قدراً فى نفوسها ... فإذا رأيت العرب قد أصلحوا ألفاظها وحسّنوها ، وحَموْا حواشيها وهذّبوها ، وصقلوا غروبها وأرهفوها ، فلا تريّن أن العناية إنما هى بالألفاظ ، بل هى عندنا خدمة منهم للمعانى ، وتنويه بها ، وتشريف منها ... فكأنّ العرب إنما لحّلى ألفاظها وتدجها ، وتشبها وتوحرفها ، عناية بالمعانى التى وراءها ، وتوصّلا بها إلى إدراك مطالبها ...

١- الخصائص ٢ / ٢١١ .

٢- انظره فى ١ / ٢١٥ وما بعدها .

وقد نقل أبو حيان توجيه ابن لقراءة { سأوريكم } بمطل الضمة إلى واو ، واحتمال الواو فى هذه الآية لمكان الوعيد والإغلاظ ، والرغبة فى تمكين الصوت ... [1] .

أما قراءة : { وأنا أعلم بما أخفيتم }[2] بإثبات ألف (أنا) وصلاً ففيها أيضاً ملمح دلالى مهم ، هو : التأكيد على اختصاص الله — عز وجل — دون غيره بهذا العلم .. وهكذا يمكن الوقوف على أسرار مطل أصوات اللين فى القراءات بشىء من التأمل ، وهو ما يتفق ودوام عطاء القرآن الكريم واستحالة تناهى معانيه .

وكان علماء التجويد قد اشتغلوا بتعليل ظاهرة المد بصفة عامة ، فمنهم من أوجز ومنهم من أطال ، لكنى لم أجد لأحدهم التفاتة إلى الجوانب الدلالية التى تشكلها ظاهرة إشباع بعض أصوات اللين ، فقد اقتصر بحثهم على العناصر الصوتية وفيزيائية الصوت .

اكتفى أبو عمرو الدانى فى حديثه عن الألف بقوله : وإن لقى همزة أو حرفاً ساكناً مظهراً أو مدغماً زيد فى تمكينه وإشباع مده ؛ بياناً للهمزة خفائها ، ولتتميز بذلك الساكنان أحدهما من الآخر ولا يجتمعا [3] .

١- ينظر : البحر ٤ / ٣٨٩ ، واللهجات العربية فى التراث ٢ / ٢٨٢ .

٢- المتحنة (١) ، وينظر البحر ٢/٢٨٨ ، والإتحاف ١٦٢ .

٣- ينظر : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ٥٢٧ .

وبظاهره فى أنّ المد قبل الهمزة لبيانها والمحافظة عليها هى ما نُقل عن جمال القراء للسخاوى : " قال الزجاج وابن قتيبة : موجب تمكين المد بيان الهمزة لا بيان الممدود ؛ لأن الهمزة خفية ، ومع خفائها ففى إخراجها كلفة ؛ لأنها تخرج من الصدر كالسلعة ، لشدتها وبُعد مخرجها ؛ فقويت بتمكين المد فى حرف المد قبلها ... " [1].

وأما مكى بن أبى طالب فانتهى فى تعليل المد قبل الهمزة إلى : " أن هذه الحروف خفيّة ، والهمزة حرف جلد بعيد المخرج ، صعب فى اللفظ ، فلمّا لاصقت حرفاً خفيفاً خِيف عليه أن يزداد بملاصقة الهمزة له خفاء ؛ فبُيِّن بالمد ليظهر " [2]، فالمد الزائد عند مكى للمحافظة على حرف المد نفسه لخفائه ، وهو فى الأوّل – عند الدانى وما نقل السخاوى – حفاظ على الهمزة ذاتها !

ويؤخذ من تعليل مكى للمد قبل المشدد أنه للاسترواح من التقاء الساكنين ؛ حيث كان المد ساكناً ، وأول المشدد كذلك ، فاجتُلب المد الزائد ؛ ليقوم مقام الحركة ؛ ذلك قوله : " ... لم يكن أن يوصل إلى اللفظ بالمشدد بساكن قبله ؛ فاجتُلبت مدّة تقوم مقام الحركة ، يُوصل بها إلى اللفظ بالمشدد ، وكانت المدة أَوْلَى لأن الحرف الذى قبل المشدد حرف مد ؛ فزيد فى مدّه ؛ لتقوم المدة مقام الحركة ؛ فيتوصل بذلك إلى اللفظ بالمشدد ، وهذا إجماع من العرب

١- جمال القراء – عن : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ٥٢٩ .
٢- الكشف ١ / ٤٦ .

ومن النحويين " ولم يخرج عن ذلك فى بيان علّة المطل قبل الساكن غير المشدد ، حيث قال بعقب الكلام السابق : " والعلة فى المد للساكن غير المشدد يقع بعد حروف المد واللين كالعلة فى المد للمشدد ؛ لأن بالمدة يُوصل إلى اللفظ بالساكن ... " [1].

ومهما يكن من أمر فيتلخص من بحث علماء التجويد واللغة القدماء فى هذه المسألة أمور :

منها : أن علماء التجويد – باستثناء مكى – جعلوا علّة مطل المد قبل الهمزة للمحافظة على الهمزة ذاتها ، وخالفهم مكى ، فجعل علة ذلك المحافظة على حرف المد لخفائه ، وما أظنّه خالفهم إلا ولديه حجة قارعة ، فالهمزة لقوّة صوتها تقهر المد ولا يقهرها ، والخوف على المد هو لضعفه قياساً بالهمزة لا عليها

ومنها : أن تعليلات علماء القراءات لظاهرة مطل صوت اللين قد اتسمت بالاقتصار على البحث فى الجانب الصوتى من حيث مستويات انتقال اللسان ودواعى الثقل والخفة ، وأما تعليلات اللغويين فغلب عليها البحث فى المعنى وصلاحه ، ومناسبة الأصوات لما يُعبَّر بها عنه ، وفلسفة الأصوات ، أى : الدلالات المستمدّة منها .

١- الكشف ١ / ٦٠ .

ونستنتج أيضاً من بحث علماء الأصوات المحدثين ولغوييهم ميلهم إلى سلوك مذهب المجوّدين وعلماء القراءات بصفة عامة فى تعليل مطل صوت اللين ؛ إذ انطلقوا فى توجيه الظاهرة مدفوعين بظواهر التأثير والتأثر ومناسبات تآخى الأصوات وتجاورها وأسباب الثقل والخِفّة ... وما إلى ذلك ، على نحو ما ذكر الدكتور : إبراهيم أنيس من قوله : " أما السر فى الإطالة ، فهو – كما يبدو لى – الحرص على صوت اللين وطوله ؛ لئلا يتأثّر بمجاورة الهمزة أو الإدغام ؛ لأن الجمع بين صوت اللين والهمزة كالجمع بين متناقضين ؛ إذ الأول يستلزم أن يكون مجرى الهواء معه حراً طليقاً ، وأن تكون فتحة المزمار حين النطق به منبسطة منفرجة ، فى حين أن النطق بالهمزة يستلزم انطباق فتحة المزمار انطباقاً محكماً يليه انفراجها فجأة ، فإطالة صوت اللين مع الهمزة يعطى المتكلم فرصة ليتمكن من الاستعداد للنطق بالهمزة التى تحتاج إلى مجهود عضوى كبير ، وإلى عملية صوتية تباين كل المباينة الوضع الصوتى الذى تتطلبه أصوات اللين . وهذا هو نفس السر فى إطالة صوت اللين حين يليه صوت مدغم ... "[1] .

وهكذا شغلهم البحث فى الجانب العضوى ومستويات الثقل والخفة ... عن البحث فى جانب آخر – هو فى رأينا أهم – وهو

١- الأصوات اللغوية ١٥٨ ، ١٥٩ ، وينظر : أيضاً (إضافة صوت علّة) فى : دراسة الصوت اللغوى ٣٩٢ .

الدلالات الصوتية فى كلّ سباق ، والإيحاء بالمعنى المناسب ... اللهمّ إلا ما وجدناه فى نقارات يسيره أشارت إلى بعض الأسرار الدلالية لمطل الأصوات ![1] .

ويبدو أن غلبة الاتجاه فى البحث العضوى لمسألة مطل أصوات اللين كانت نتيجة أن كثيراً من المحدثين لم يقتنعوا بالدلالات الصوتية ، بل إنهم ينكرونها ، وربما يسخرون ممكن يقولون بها ؛ { بل كذّبوا بما لم يُحيطوا بِعِلْمِه ولمّا يأتهم تأويلُه } [2] .

ويبقى فى كلام الدكتور أنيس أنه مال إلى مذهب مكى – دون غيره من علماء التجويد والقراءات – فى أن إشباع المد قبل الهمزة إنما هو من أجل المحافظة على المد لا على الهمزة ، وهو ما نميل إليه ، فأيهما يتأثر بالآخر ؟ وبِمَ أبلغ تأثيراً فيما يجاوره ؟ هذه هى المسألة .

لقد انتهينا إلى أن هذه الزيادة فى زمن نطق صوت اللين بالمطل إنما تحدث لمعانٍ ، ربما عرفنا بعضها ، وقد تندّ عنا علل غيرها ، ولكن السابقين الأولين من علماء اللغة أكدوا شيئاً من ذلك ، قال ابن جنى : " فلما كانت هذه الزوائد فى هذه المثّل إنما جيء بها للمعانى خشوا إن هم جعلوها ملحقة بذوات الأربعة أنْ يُقَدَّرَ أنّ غرضهم فيها إنما هو إلحاق اللفظ باللفظ ؛ فأخّلوا بالإلحاق لما كان صنعة لفظية ووقّروا المعنى ، ورَجّبوه لشرفه عندهم ، وتقدُّمه فى أنفسهم ؛ فرأوا الإخلال باللفظ فى جنب الإخلاء بالمعنى يسيراً سهلاً ... "[3] .

١- ينظر : الحركات العربية فى ضوء علم اللغة الحديث ١ . ٢ : ٢٠٥ .
٢- يونس ٣٩ .
٣- الخصائص ١ / ٢٢٣ ، ٢٢٤ .

فهذا التأنى فى القراءات لأداء موضع ما ، بتركيز نبر على مقطع معين ، أو مطل حركة أو إشباع مد ... أو نحو ذلك ، وكذا الإسراع أيضاً ، ليس إلا وجهاً من وجوه إتمام المعنى وتوفيته ، ولكن العجب أن توجيه كثير من شواهد مطل صوت اللين ارتبط عند بعض القدماء بالضرورة ، ومن ثم قصروه على الشعر ، وقد صور ذلك ابن ولاّد (ت ٣٣٢ هـ) بقوله : " .. فإنما هو بمنزلة ما تزيده من حروف المد واللين على وزن الشعر ... وقد يُخفّفون المشددَ ، ويُشدّدون المخفّف ، ويمدون الحركات حتى تكون حروفاً فى حشو البيت وقوافى الشعر ، فلا يكون ذلك ممتنعاً ، وإن زاد على وزن البيت " [1].

وعندما تحدث ابن ولاّد عن مدّ المقصور فى الشعر استنبط إجازة سيبويه له بقوله : " وقد دلّ سيبويه على إجازة ذلك فى الشعر بقوله : " وربما مَدُّوا فقالوا : مساجيد ومنابير ، فزيادة الألف قبل آخر الكلمة كزيادة هذه الياء فى الشعر ؛ إذ كانا جميعاً ليساً من أصل بناء الكلمة " [2].

هذا مع أن كثيراً مما ورد فى الشعر من مطل اللين لا ينطبق عليه حدّ الضرورة لدخوله فيما كان للشاعر عنه مندوحة ومخرج ، وإنما قصد إلى ذلك المطل عمداً لإبراز معنى وكشف علاقة أو التعبير عن عاطفة وتوضيح انفعال ... على نحو ما أشرنا فى مبحث : المطل فى لغة العرب .

١- الانتصار لسيبويه على المبرد ٢٦٩

٢- المقصور والممدود لابن ولاد / ٧٣ ، وقارن : كتاب سيبويه ١ / ٢٦ . ٢٨ .

قال ابنُ مالك فى بيتى حسّان بن ثابت وعمر بن أبى ربيعة (علاماً قام يشتمنى — ولما قد جفوتنى ..) " وفى عدول حسان عن : علام يقوم يشتمنى ... وعدول عمر عن : ولم — مع إمكانهما — دليل على أنهما مختاران لا مضطران " [1].

وإن تعجب فالعجب حقاً من ابن الأنبارى وطائفة من النحويين ، حيث زعموا الإجماع على أنها من الضرائر ، مع أنها ظاهرة لهجية معزوة لقوم بأعيانهم ، ولها شواهد فى النثر والقراءات ، كما أن فيما ذكر ابن مالك ، وما نقلنا عن كونها لغة عن ابن جنى خرقاً لذلك الإجماع المزعوم .

ويبدو أن حكم النحاة على بعض الاستعمالات اللهجية بالضرورة نابع من تقسيمهم اللهجات إلى مستويات يرتضون بعضاً ، ويُعرضون عن بعض ، فمنها عندهم : الفصحى والجيدة والحسنة والمأخوذ بها والقبيحة والرديئة والشنعاء والمرغوب عنها ... الخ ، فما استجادوه أخذوا به ، وما رغبوا عنه لم يجز عندهم استعماله ألا فى الضرورة ؛ فإن جاء فى كلام فصيح لم يعدموا الحيلة فى تخريجه ، إما بادعاء رواية أخرى ، أو بتخطئة قائله وتغليطه ، أو ... [2] ، وكذا القراءات القرآنية التى وردت فيها شواهد لظاهرة المطل لم تعدم عندهم تأويلا وتخريجا !

١- شواهد التوضيح — عن : إشباع حركات الأبنية ١٤٢ .

٢- ينظر : الحركات العربية فى ضوء علم اللغة الحديث ١٩٧، ١٩٨ .

ففى قراءة ابن كثير : { إنه من يتقى ويصبرْ } [1] قالوا : جزم الفعل (يتقى) بحذف الحركة المنويّة على الياء ، أو مجزوم بحذف الياء ، ثم أشبعت الكسرة فتولدت عنها ياء أخرى ، أو هو مرفوع على أن (مَنْ) موصلة ، والفعل (يصبر) مجزوم بالعطف على المعنى !

وكذا قراءة حمزة : { لا تخفْ دركاً ولا تخشى } [2]، ذهبوا إلى رفع (تخشى) على الاستئناف ، أو جزمه بحذف الحركة المنوية على الألف ؛ إجراء للمعتل مجرى الصحيح ، أو جزمه بحذف الألف ؛ ثم مُطلت الفتحة لتتوافق رءوس الآى ...

فقد ترى تأويلاتهم نكّبت عن الطريق الواضح ومضت فى شقّ ضيق ، وكان يغنى عن ذلك تخريجها على أنها لهجة عربية [3].

نستطيع أن نقرر أن تلك الشواهد الشعرية التى لها نظائر فى القراءات القرآنية ولهجات العرب ليست من الضرائر ، وليس من الصواب فى شئ أن نحكم عليها بهذا وإنما هو شعر وافق إحدى لغات العرب ، وملاك الأمر فى ذلك ما أجاب به أبو عمرو بن العلا عندما سُئل : " أكانت العرب تطيل ؟ فقال : نعم لتبلغ ... " [4].

١- يوسف ٩٠.
٢- طه ٧٧ .
٣- ينظر : أيضاً : الحركات العربية ٢٠٠ .
٤- الخصائص ١ / ٨٣ .

نعم إن للطول والتطويل وظائف تعبيرية ، وأمثلة ذلك كثيرة فى تأكيد المعانى والمبالغة ولفت الانتباه وإبراز العواطف والانفعالات [1].

ولقد كان المطل فى الأسماء مثل (بينا – الكلكال – الخاتام – بمنتزاح – القرنفول ...) أخفّ على النحويين وأيسر وقعاً ، أو ربما لم يلتفتوا إليه ويعلّقوا عليه لأنه لا يختلف أو يصطدم وقواعدهم ، ولا يؤدى إلى خلل فى ظاهرة الإعراب ؛ ولذا لم يثر حوله خلاف شديد أو جدال بين العلماء ، فقد اكتفوا بعرض نماذج منه للتدليل على جوازه للشاعر إذا اضطر ، وربما كانت إشارة ابن جنى إلى أن العرب قد تحتاج إلى الإشباع أو مطل اللين فى إقامة وزن إيماءة إلى ما يحدث من ذلك فى الأسماء ولا يؤدى إلى خلل فى الإعراب ، قال أبو الفتح : " ... يؤكد ذلك عندك أيضاً أن العرب ربما احتاجت فى إقامة الوزن إلى حرف مجتلب ليس من لفظ الحرف ؛ فتُشبع الفتحة ؛ فيتولّد بعدها ألف ، وتُشبع الكسرة ؛ فيتولّد بعدها ياء ، وتُشبع الضمة ؛ فيتولّد بعدها واو ... " [2].

ولقد لاحظنا فى القراءات التى ذكرناها شواهد لمطل أصوات اللين – على نمط ما ذكرنا فى شواهد الشعر – أن منها ما تأثر الإعراب فيه بمطل الحركة ، كما فى : { إنه من يتقى ويصبرْ – ولا

١- ينظر : علم الصوتيات ٢٩٩ : ٣٠٣ ، وقارن : الخصائص ٣ / ١٢٧ : ١٢٩ .
٢- سر الصناعة ١ / ٢٣ .

تقفو ما ليس لك به علم – لا تخفْ دركاً ولا تخشى } [1]، لأبن كثير وزيد بن على وحمزة ؛ فبدت الكلمات التى حدث فيها مطل وكان العامل قبلها مهمل لا أثر له ، كما أنّ من القراءات ما لم يتأثر الإعراب فيها بحدوث المطل .

إن الأمر الذى لا يفوتنا التنبيه عليه : أنه إذا كانت أصوات اللين فى العربية لا تختلف مقاييسها حين تطول – بمعنى أن صوت اللين فى لغتنا يبقى هو هو طال أم قصر [2] – فإن تطويلها وإشباع مدها لا يُبقى الدلالات على ما هى عليه ، وإنما تتأثر لذلك المعانى ، وقد يُقصد إلى الإشباع قصداً ؛ لتوضيح مفاهيمَ خاصةٍ ، والتأكيد على بعض الدلالات لا تظهر مع الأداء مجرّدا عن المطل ، وربما كشف تمكينُ صوت أو زيادةٌ فى مدّة عن شيءٍ من انفعالات المتكلم وما يعتمل فى داخله ، وهذا مما يؤكد دقّة العربية ولطفها ورهافتها وعدم جزافية التعبير فيها ، ويدفعنا أيضاً إلى أن ننظر إلى ظاهرة المطل على أنها من مباحث التطريز الصوتى الأدائية المهمة ذات الظلال اللغوية الفارقة ، شأنها التزمين والنبر والتنغيم والطول ...

وبهذا يتبين لنا خطأ الرأى القائل بأن مطل الأصوات لا يؤدى إلى تغيير فى المعانى ، على حد ما ذهب إليه الدكتور غانم

١- يوسف ٩٠ والإسراء ٣٦ وطه ٧٧ .

٢- ينظر : الأصوات اللغوية د / أنيس ١٥٥ ، وللدكتور الخولى فى كتابة : الأصوات اللغوية ٤٥ رأى يخالف هذا ، قال : " إذا زاد طول الصوت أصبح صوتاً آخر ... "

قدورى فى كتابه : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد إذ نقل عبارة ملاّ على القارى : " ولا يخفى أن المد ليس حرفاً ولا حركة ، بل زيادة على كمية حرف المد " ، ثم وجهها قائلاً : " ... فتقول على القارى : إن المد ليس بحرف ولا حركة ، معناه : أنه لا يؤدى إلى تغيير المعانى ، فالحروف الذائبة فى العربية لها درجتان من الطول : قصيرة ، وهى الحركات ، وطويلة ، وهى حروف المد ، وكل زيادة فى الصوت بعد ذلك لا تؤدى إلى درجة ثالثة يكون لها شأن فى تغيير المعنى ... " [1].

وهذا من تحميل العبارات ما لا تحتمله ، وهو توجيه غير سديد لكلام القارى ، فلم يتعرض الشيخ لمسألة المعنى وتغيُّره أو ثباته ، غاية ما هنالك أنه قصد أن مطل المد والزيادة فيه لا تؤدى إلى نشوء حرف إضافى أو اعتبار الحرف الممطول حرفين وسياق كلامه فى الكتاب يقطع بأنه لم يتعرض لمسألة المعنى من قريب أو بعيد فى هذه النقطة [2]، وهو فى معنى قول بعض المحدثين بعدم اختلاف مقاييس أصوات اللين حين تطول ، أى أن إشباعها لا يؤدى إلى تغيُّر النظرة إليها فى اعتبارها صوتاً واحداً لا أكثر ، فكلام ملاّ القارى يبحث فى الصوت من جهة أكوستيكية التركيب وخصائصه المادية (الفيزيائية) [3]، لا دوره الدلالى وأثره فى المعنى .

١- الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ٥٢٣ .

٢- ينظر : المنح الفكرية ٤٩ .

٣- ينظر : دراسة الصوت اللغوى ١٩ .

وربما كان من أجل هذا – أى : اعتراف القدماء بتأثير الزيادة فى المد على المعانى – أنهم حذروا من المطل بدون داع ؛ لأن أصوات المد تقبل ذلك ؛ فجعلوا الإفراط فى المد والخروج به عن حد المسموح فيه من العيوب ، قال ابن البناء فى كتابه : (بيان العيوب التى يجب أن يتجنبها القراء) : كذلك يحذر من زيادة الممدود الذى يُخرجه عن حدّه ، فيعتقد أنه تجويد ، وأنه فيه من المحسنين ، ولا يعلم أنه من المسيئين ، وهذا التحذير من الزيادة على حد المدّ المروى قديمٌ ، قال أحدهم : قرأ أخٌ لى أكبر منى على حمزة فجعل يمد ، فقال له حمزة : لا تفعل ، أما علمت أن ما كان فوق الجُعُودة فهو قَطَط [1] ، وما كان فوق البياض فهو برص ، وما كان فوق القراءة فليس بقراءة ! إلى حدّ أنهم عدُّو الإفراط فى المد من اللحن الخفىّ ، وربما خرج إلى اللحن الجلىّ [2] .

فوضعهم للإشباع والمد حداً لا يصح تجاوزه دليل على أن للزيادة فى المد تأثيراً فى حُسن التلاوة وضبط أدائها ، وهو مما تتأثر له دقة المعانى والدلالات .

وأشهر من عُرف عنهم مطل شىء من أصوات اللين فى القراءات من القراء : حمزة وورش :

١- الجُعُودة فى الشعر : اجتماعه وتقصيره ، والقطط : المبالغة فى التقصير إلى حد الشح .

٢- ينظر : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ٥٤٢ .

فاختُصّ حمزة بمد المبالغة فى النفى { لا ريب فيه } ، ومد التعظيم { لا إله إلا الله } وهو المد الذى لم يكن سببه لفظياً ، كما اشتُهر ورش بمدّ البدل فى نحو : آدم ، آمنا ، آمن ، آتى ، ولأجل قراءته فى ذلك ونحوه دافع مكىٌّ عنه فى رسالته : (تمكين المد) [1] ، وقد كان حمزة يقرأ أيضاً بإشباع المد المنفصل والمتصل ، قال الناظم :

وفى ذى انفصالٍ واتصالٍ لحمزة ∴ بمدّك ستّاً ذاك تقريباً آنقلا

أفاد أنه قرأ بإشباعٍ المنفصل والمتصل مقدار ست حركات على وجه التقريب [2] .

وقال فى باب : ياءات الزوائد – وهى الياء الزائدة على خطّ المصحف ، وتقع فى الاسم والفعل ، نحو : دعانى ، آتانى ، أتمدوننى – :

تـــمدوننى حَالَيْه أَثْبَتَ حـــمزةٌ ∴ دعانى يابراهيمَ أثْبَتَ مُوصلا

أثبت حمزة الياء فى : أتمدوننى بمال – بالنمل – وصلاً ووقفاً [3] .

١- ينظر : تمكين المد ٢٢ .

٢- موشد الأعزة إلى شرح رسالة حمزة ١١ .

٣- موشد الأعزة ٣٤ .

نتائج البحث

تقتضى طبيعة البحوث اللغوية أن يصل الباحث بعد لأى وطول نصب فى ترتيب المقدمات إلى النتائج المرجوة والجديدة فى مضمار البحث والمفيدة فى بابها ، وهاك عزيزى الباحث والدارس فى هذا الميدان ما توصلت إليه من نتائج خرجت بها بعد طوال معاناة ورحلة شاقة فى بطون متون اللغة وكنوزها .

علاقات ظاهرة مطل أصوات اللين

١ – تبين لنا حدوث التداخل فى استخدام مصطلحى : المد واللين ، وفى دلالة كل منهما ، فقد كان هناك تجوز فى استخدام المصطلحين ، إلى حدّ إطلاق اللين على حروف المد ، واستخدام المدّ فى حرفى اللين ، وغلب هذا التداخل بصورة أوضح على عبارات اللغويين ، أما علماء التجويد والقراءات فكان جمهورهم يخصص اللين بحرفى الواو والياء حيث لم تسبقا بحركة مجانسة كما فى نحو : سَوْط وبَيْت ، وحروف المد عندهم هى الثلاثة : الألف والياء والواو حيث كانت الحركة السابقة من جنسها ، كما فى : قال ، حين ، تعقلون .

٢ – وظهر أن للمطل علاقة بالهمز والحرف المشدد ، فالمطل خاص بأصوات المد واللين ، والهمزة أقرب الأصوات اللغوية إلى تلك الطائفة ، حيث إنها تخفف إليها بالإبدال أو التسهيل ، كما أن الهمزة صوت قوى ، والحرف المشدد يكتسب قوّة

بالتشديد ؛ فتآخيا لذلك ، وصارا – أى : الهمز والمشدد – من اللين بمنزلة واحدة ، ومطل صوت اللين كالاستراحة للسان يتهيّأ بها لأداء ما يليه من مهموز أو مشدد [١] .

٣ – ولمطل أصوات اللين علاقة قوية بظاهرة الوقف فى القراءات القرآنية [٢] ؛ ولهذا تنبه علماء التجويد إلى ما يمكن أن يلحق الحرف الساكن من محاذير عند الوقف ، ومن إشاراتهم إلى ما يمكن أن ينتج عن ذلك : السرعة بالساكن حتى يصير متحركاً ، والتشديد له حتى يزيده ثقلاً .

وقالوا فى الوقف : { هاوية } و : { واهية } [٣] ، وما أشبه ذلك : ينبغى أن يتوقى الإفراط فى إشباع فتحة الياء ، وإن كان الياء حرفاً خفيفاً ، سيما فى الوقف ، فإن الوقف موضع استراحة واستنفاد للصوت وقطع له ، وكثيراً ما ترى القراء فى هذا الزمان [٤] إذا وقفوا على مثل هذا أشبعوا الفتحة ومطّطوا حتى تصير ألفاً ، فيقولون : ما هياه ، نار حامياه ، فقس على هذا جميع ما يرد عليك من الحركات التى تكون

---

١ – فى علاقة الهمزة بحروف المد واللين ، راجع : صوت الهمزة فى اللغة العربية بين القدماء والمحدثين – مجلة جامعة أم القرى س٩ ع ١٢ / ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م ، ص ١٥٩ : ١٨٠ .

٢ – ينظر : الدارسات الصوتية عند علماء التجويد ٥١٩ .

٣ – القارعة ٩ ، والحاقة ١٦ .

٤ – هذا من قول عبد الوهاب القرطبى ، وكانت وفاته – رحمة الله – ٤٦٢ هـ .

على الحروف قبل أواخر الكلم ، مثل : الأبتر [١] ، والصمد [٢] ... وما أشبه ذلك ، فإن الحكم فيه واحد لا يختلف .

٤ – ولمطل أصوات اللين أيضاً علاقاتٌ بظواهر لهجية قديمة ، فمن ذلك ما يُحكى عن بعض العرب أنهم كانوا يطيلون النهايات الإعرابية بعد حذف التنوين فى الوقف [٣] ، يقولون : جاء خالدو ، ومررت بخالدى – بمطل حركة الإعراب لتصير حرفاً ، خشية ضياعها فى نهاية الكلمة – كما يقول سائر العرب فيما كان منصوباً : رأيت خالدا ، وهى ظاهرة خاصة باللهجات الجنوبية ، اشتُهرت بها كثير من قبائل شعب الأزد .

ومنه ما اشتُهرت به القبائل الحجازية من إعطاء الصوت حقّه ما حتى عزاً أبو حيان كثيراً من قراءات الإشباع والمطل إلى الحجاز ، بل ذهب إلى تأثر غيرهم بهم فى ذلك فقال : وهى أيضاً فى لغة أهل الأندلس ، كأنهم تلقّفوها من لغة الحجاز ، وبقيت فى لسانهم إلى الآن [٤] .

ذلك أن البيئة الحجازية كانت تحافظ على إعطاء كل صوت

١– الكوثر ٣ .
٢– الإخلاص ٢ .
٣– ينظر : دراسة اللهجات العربية القديمة د / سلوم ٦٠ ، و : لهجات العرب وامتدادها إلى العصر الحاضر د / عبد الطيب ٢١٢ .
٤– ينظر : البحر المحيط ٨ / ٣٨٩ .

حقه ، وهو أمر عرفت به البيئات الحضرية التى حرصت على تحقيق الأصوات فى الأداء ، كما تتطلب معيشة الحضر دقة فى معظم المظاهر الاجتماعية ، ومن بينها اللغة [١] ، ويؤكد هذا ما روى من إثبات الياءات فى الأفعال الناقصة والأسماء المنقوصة عند أهل الحجاز فى مقابل حذفها عند غيرهم (تعط – يأتِ – الداعِ – لا أدرِ ...) ، ومعنى هذا أن الحجازيين كانوا ينطقون بالصيغة كاملة وافية [٢] .

فقد شاع الحذف فى منطق القبائل التى غلب عليها طابع البداوة ، حيث يميلون إلى السرعة وتلمّس أيسر السبل . فيُسقطون بعض الأصوات التى لا تُخلّ بفهم الكلمات [٣] ، وفى مقابل هذا عُرف التأنّى عن أهل الحضر ؛ ولذا قال الزمخشرى عند الكلام على قراءة الحسن { سأوريكم } : " وهى لغة فاشية فى الحجاز ، يُقال : أورنى كذا وأوريته ووجهه أن تكون من : أوْريت الزند ، كأن المعنى : بيّنْه لى ، وأنِرْه لأستبينه ... " [٤] .

٥ – ويرتبط المطل بظاهرة المخالفة ، قال سيبويه : " وأما الدّبران ، والسِّماك ، والعيُّوق ، وهذا النحو ، فإنما يُلزَم الألف من قِبَل أنه عندهم الشىء بعينه .

١– ينظر : فى اللهجات د / أنيس ١١٥ ، ١٣٧ ، وقارن : اللهجات العربية فى التراث ٢ / ٦٨٢ .
٢– اللهجات العربية فى التراث ٢ / ٦٨٤ ، ٧٠٦ .
٣– ينظر : فى اللهجات العربية د / أنيس ١٣٢ .
٤– الكشاف ٢ / ٩٣ .

فإن قال قائل : أيقال لكلّ شيء صار خلف شيء : دَبران ، ولكل شيء عاق عن شيء : عُيُوق ، ولكل شيء سَمَك وارتفع : سماك ؟ فإنك قائل له : لا ، ولكن هذا بمنزلة العدلُ والعديل . والعديل : ما عادلك من الناس ، والعِدْل لا يكون إلا للمتاع ، ولكنهم فرقوا بين البناءين ليفصلوا بين المتاع وغيره ، ومثل ذلك : بناء حَصِين ، وامرأة حَصَان ، فرّقوا بين البناء والمرأة ، فإنما أرادوا أن يخبروا أن البناء مُحْرِزٌ لمن لجأ إليه ، وأن المرأة مُحْرِزَةٌ لفَرْجها ... وهذا أكثر من أن أصفه لك في كلام العرب ، فقد يكون الاسمان مشتقين من شيء ، والمعنى فيهما واحد ، وبناؤهما مختلف ، فيكون أحد البناءين مختصاً به شيء دون شيء ؛ ليفرق بينهما ... " [1] .

فهذا اللفظان يُشتقّان من جذرٍ لغويّ واحد ، وأصل معناهما واحد ، وتتمّ المخالفة في بناء أحدهما ، كما يحدث المطل في صوت اللين ، ووجه الشبه أن المخالفة بين البناءين كالمطل في عدم اقتصار غرضها على الجانب اللفظي لتكثير الألفاظ ، وإنما يكون وراء ذلك فيهما غرض دلالي أو غيره ، أي استقلال كل بناء بمعنى ؛ لمنع لبس أو إيجاز منطق ... وهذه أغراض لفظية ومعنوية ، وقد صرحّ سيبويه بكثرته في كلام العرب : " وهذا أكثر من أن أصفه لك في كلام العرب ... " .

١- الكتاب – ط هارون ٢ / ١٠٢ .

٦ – وبين مطل أصوات اللين وظاهرة التعويض تلازم ومناسبة ظاهرة ، يدلّ لهذا قول ابن جني في مطل حروف اللين : " فيجعلون طولها ووفاء الصوت بها عوضاً مما كان يجب لالتقاء الساكنين .. " [1] .

ويكثر – في اللغة العربية – حذف الهمزة والتعويض عنها بمدّ الحركة التي قبلها أو بعدها ؛ لتصبح ليناً طويلاً ، ومثال هذا أن : " الإجْباء : بَيْع الزرع قبل أن يبدوَ صلاحه ، أو يُدرك ، تقول منه : أجْبَأت الزرع ، وجاء في الحديث بلا همز : مَنْ أجبىُ فقد أربى ، وأصله الهمز " [2] .

ومنه : (حَزَأ السرابُ الشخصَ يَحْزَؤُهُ حَزْءاً : رفعه ، لغة في : حزاه يحزوه ، بلا همز) [3] ، وهذا أكثر من أن يُحصى [4] والمد فيه عوض عن حذف الهمز .

٧ – ومن المؤكد الآن أيضاً أن هناك علاقة قوية تصل مطل أصوات اللين بظاهرة النبر :

إذ يعمد إلى مطل صوت اللين في بعض المواضع للفت الانتباه إلى معانٍ ربما لا تظهر بدون ذلك الأداء النبرىّ ، فيما

١- الخصائص ٣ / ١٢٦ .
٢- اللسان – جبأ ١ / ٤٤ .
٣- اللسان – حزأ ١ / ٥٥
٤- قارن بين المعتل والمهموز في حلأ – درأ – زنأ – ذأم – بدأ – لأم ...

يصطلح عليه بالنبر الدلالى أو نبر السياق ، على حدّ ما ذكره ابن جنى فى توجيه قراءة { سأوريكم } ، وما ألمحنا إليه فى المعانى الناتجة عن مطل أصوات اللين فى بعض أشعار العرب .

فقد بدأ أن مطل اللين يؤثّر فى الدلالات كما أن النبر والطول والتزمين من الملامح الأدائية التى سبق أن أشرنا إلى اشتراكها فى تهيئة الكلام والتعبير عن العواطف والانفعالات [1] .

٨ – ومن بقايا ظاهرة مطل أصوات اللين فى ألسنة العامة وتأثر لهجاتهم بها ما ذكره الزمخشرى (ت ٥٣٨ هـ) عن قول أهل الحجاز : أورنى كذا فى : أرنى [2] ، وما نقله أبو حيان عن تأثر لهجات الأندلس – فى هذه الظاهرة – بلغة الحجاز ، وقوله : إنها ظلت باقية على ألسنتهم حتى عصره (ت ٧٤٥ هـ تقريبا) [3] !

وأما فى اللهجات العامية المعاصرة فنلحظ من آثار ظاهرة مطل أصوات اللين قول بعض المصريين [4] : معك كام ؟ فى : كَمْ ، و : اشتريت خُضَار فى : خُضَر ، و : عليم الله ما ذهبت ، فى : عَلم ، و : ليه كتبتى بيه ، ورميتيه ، فى : كتبتِ به ورميتِه ، و : المكان يساع الموجودين ، فى : يَسَع ...

١– ينظر أيضاً : علم الصوتيات ٢٩٨ : ٣٠٣ .
٢– ينظر : الكشاف ٢ / ٩٣ .
٣– ينظر : البحر المحيط ٤ / ٣٨٩ .
٤– ينظر أيضاً : خصائص لهجتى طى ، والأزد ٣٣ .

ومن الأفعال التى شاع المطل فيها على ألسنتهم : الأمر من الأجوف ، قام وباع ونام ... يقولون فى الأمر من هذه الأفعال وأشباهها : قُومْ – بِيعْ – نَامْ ، مطلاً عن : قُمْ – بِعْ – نَمْ ... وهكذا.

وأخيراً انتهت دراستى لظاهرة مطل أصوات اللين فى القراءات القرآنية إلى نتيجة عجب ، هى :

أن أصوات اللين ظلّت مُنضبطة فى الأداء القرآنى بأطوالٍ ومقاييسَ وضعها علماءُ التجويد والقراءات فى صورة قوانين و قواعد مستنبطة من وجوه أدائها فى السياقات والقراءات المختلفة .

وفى المقابل تعرّضت هذه الأصوات نفسها فى اللهجات القديمة والعامية المعاصرة لارتباك وخلط شديدين فى طُرق أدائها ؛ نتيجة فقدان تلك الضوابط .

والحمد لله ، فاتحة كل خير ، ونهايته ، وتمام كل نعمة ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

المصادر والمراجع

إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربع عشر . الدمياطي البنا – أ) تصحيح : الضباع – ط : المشهد الحسينى – القاهرة ب) ، ط : دار الندوة – لبنان .

أخبار النحويين البصريين . السيرافى – تح د/ محمد إبراهيم البنا . ط الأولى – دار الاعتصام القاهرة ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥م

أساس البلاغة . الزمخشرى – تح / محمد باسل عيون السود . ط الأولى– منشورات / محمد على بيضون . دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م .

أسباب حدوث الحروف . ابن سينا – منشورات جامعة طهران ١٣٣٣هـ .

إشباع حركات الأبنية فى الشعر وموقف النحاة منه . د / محمد حماسة عبد اللطيف . مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ج . ٤– ذو القعدة ١٣٩٧هـ – نوفمبر ١٩٧٧م .

أصوات اللغة العربية . / عبد الغفار هلال . ط الثانية – الجبلاوى القاهرة ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م .

الأصوات اللغوية . د / إبراهيم أنيس . مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٩٢م .

الأصوات اللغوية . د / محمد على الخولى – ط الأولى – مكتبة الخريجى – الرياض ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م .

الأصوات اللغوية فى لهجة صنعاء ، وصلتها بالعربية الفصحى . د / عبد الغفار هلال . مجلة كلية اللغة العربية – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – ع ٧ . الرياض ١٣٩٧هـ – ١٩٧٧م

الانتصار لسيبويه على المبرد . ابن ولاّد . تح د / زهير عبد المحسن سلطان الأولى – مؤسسة الرسالة . بيروت ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م .

البحر المحيط . أبو حيان الأندلسى . مصورة مكتبة النصر الحديثة بالرياض عن ط السعادة بالقاهرة ١٣٢٨هـ .

تاريخ العلماء النحويين . ابن مسعر التنوخى – تح د / عبد الفتاح الحلو . نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية . المجلس العلمى (١٥) ١٤٠١هـ – ١٩٨١م .

التطور النحوى للغة العربية . برجشتراسر . تعليق د / رمضان عبد التواب . نشر : الخانجى بالقاهرة – دار الرفاعى بالرياض ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م .

تمكين المد . مكى بن أبى طالب – تح د / أحمد حسن فرحات . ط الأولى دار الأرقم – الكويت ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م .

التمهيد فى علم التجويد . ابن الجزرى . تح د / على البواب – ط الأولى – مكتبة المعارف – الرياض ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م .

التوقيف على مهمات التعاريف . المناوى . تح د / محمد رضوان الداية – ط الأولى – دار الفكر بيروت – دمشق – ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م .

التيسير فى القراءات السبع . الدانى – تح أوتو يرتزل – مصورة دار الكتب العلمية بيروت عن ط أستانبول ١٩٣٠.

الحركات العربية فى ضوء علم اللغة الحديث . د / الوافى الرفاعى البيلى . ط الأولى – التركى بطنطا – مصر ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م .

الخصائص . ابن جنى . تح . د / محمد على النجار . ط الثانية . دار الهدى . بيروت .

خصائص لهجتى طىء والأزد . د / الموافى البيلى . ط الأولى – السعادة بالقاهرة ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م .

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد . د / غانم قدورى الحمد . ط الأولى – مطبعة الخلود – الجمهورية العراقية – بغداد ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م .

دراسة الصوت اللغوى . د / أحمد مختار عمر . عالم الكتب – القاهرة ١٤١١هـ – ١٩٩١م

دراسة اللهجات العربية القديمة . د / داود سلوم . ط الأولى – عالم الكتب بيروت ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م .

الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة . مكي بن أبى طالب . تح د / أحمد حسن فرحات – دار الكتب العربية – دمشق ١٣٩٣ هـ .

السبعة ابن مجاهد . ابن مجاهد تح د / شوقى ضيف . دار المعارف. القاهرة ١٩٨٠ م .

سر صناعة الإعراب . ابن جنى . تح د / حسن هنداوى . ط الأولى دار القلم . دمشق ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م .

شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك . ط عيسى الحلبى . القاهرة .

شرح شافية ابن الحاجب . الاستراباذى . تح / الزفزاف وآخرين . مصورة دار الكتب العلمية – بيروت ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ .

الصاحبى . ابن فارس . تح / السيد صقر – عيسى الحلبى – القاهرة ١٩٧٧ م .

صوت الهمزة فى اللغة العربية بين القدماء والمحدثين . د / يحيى مباركى – مجلة جامعة أم القرى س ٩ ع ١٢ مكة المكرمة ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م .

طبقات النحويين واللغويين . الزُبيدى . تح / أبو الفضل . دار المعارف القاهرة ١٩٨٤ م .

العربية لغة العلوم والتقنية . د / عبد الصبور شاهين .ط الثانية . دار الاعتصام . القاهرة ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦ م .

علم الصوتيات. د / عبد الله ربيع ، د / عبد العزيز علام . المكتبة التوفيقية . القاهرة ١٩٧٩م.

علم اللغة : مقدمة للقارئ العربى . د / محمود السعران . دار الفكر العربى . القاهرة ١٩٦٢م .

فصول (مجلة) . المجلد السابع – ع ٣ ، ٤ – الهيئة المصرية للكتاب القاهرة ١٩٨٧ م .

فى اللهجات العربية . د / إبراهيم أنيس . ط التاسعة . مكتبة الأنجلو المصرية . القاهرة ١٩٩٥م

الكتاب . سيبويه (أ – ط . الأميرية . بولاق ١٣١٦ هـ . ب) تح / هارون . ط الثانية . الهيئة المصرية للكتاب . القاهرة ١٩٧٧م

الكشاف . الزمخشرى . مصورة عن ط دار الفكر . بيروت ١٣٩٧ هـ ١٩٧٧ م .

الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها . مكى بن أبى طالب . تح د / محى الدين رمضان . ط الثالثة . مؤسسة الرسالة ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤ م

الكليات . أبو البقاء الكفوى . تح د / عدنان درويسية ، و : محمد المصرى دار الكتاب الإسلامى . القاهرة ١٩٩٢ م .

لسان العرب . ابن منظور . دار صادر ، بيروت ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م .

لهجات العرب وامتدادها إلى العصر الحاضر . د . عبد محمد الطيب - ١٤١٥ هـ-١٩٩٤م.

اللهجات العربية فى التراث . د / أحمد علم الدين الجندى - الدار العربية للكتب : ليبيا ، تونس ١٩٨٣ م .

مجالس ثعلب . تح / هارون . ط الثالثة . دار المعارف . القاهرة .

المحتسب . ابن جنى . تح / على النجدى ناصف وآخرين . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . القاهرة ١٤١٥ هـ ١٩٩٤ م .

مرشد الأعزة إلى شرح رسالة حمزة .محمود حافظ برانق ،ومحمد سليمان صالح . تح / عبدالفتاح القاضى . ط الأولى . مكتبة تاج بطنطا . مصر ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م .

المزهر . السيوطى . تح / جاد المولى وآخرين . عيسى الحلبى . القاهرة

المصباح المنير . الفيومى . بعناية : يوسف الشيخ محمد . ط الثانية . المكتبة العصرية . بيروت ١٤١٨ هـ - ١٩١٧ م .

المفضليات . المفضل الضبى . تح / شاكر وهارون . ط السادسة . دار المعارف مصر ١٩٧٩م .

مقاييس اللغة . ابن فارس . تح / هارون . ط الثانية . مصطفى الحلبى . القاهرة ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩م .

المنح الفكرية على متن الجزرية . ملا على بن سلطان القارى . تح / عبد القوى عبد المجيد . ط الأولى . مكتبة الدار بالمدينة المنورة ١٤١٩ هـ .

النشر فى القراءات العشر . ابن الجزرى . تح / الضباع . دار الكتب العلمية . بيروت .

نظرات فى علم التجويد . إدريس الكلاك ، ط الأولى . مؤسسة المطبوعات العربية . بيروت ١٩٨١ م .

النقط مع المقنع . أبو عمرو الدانى . تح / محمد أحمد دهمان . دار الفكر دمشق .

النهر الماد من البحر = بهامش البحر المحيط .

نوادر المخطوطات . عبد السلام هارون . ط الثانية . مصطفى الحلبى القاهرة ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م .